أحمد شوقي

مصرع كليوباترا



الهيئة المصرية العامة للكتاب


مصرع كليوباترا

اهداءات ٢٠٠٢

أ.د/ مصطفى الصاوى الجوينى

الاسكندرية

أحمد شوقي

مصرع كليوباترا



الهيئة المصرية العامة للكتاب
١٩٨٢

تمهيد

زمن الرواية : الأيام الأخيرة فى حياة كليوباترا حوالى سنة ٣٠ قبل الميلاد بين وقعة «أكتيوم» البحرية وانتحار كليوباترا .

مكانها : فى الإسكندرية وأرباضها .

أشخاصها :

(ا) الأشخاص التاريخية :

كليوباترا .
مارك أنطونيوس .
أكتافيوس قيصر .
قيصرون : ابن كليوباترا من يوليوس قيصر .

(ب) الأشخاص الموضوعة :

أنوبيس : الكاهن الأكبر .
زينون : أمين مكتبة قصر كليوباترا .

حابى ..
ديون .. } مساعدو زينون .
ليسياس

هيـــلانة : وصيفة كليوباترا وبينها وبين حابى غرام

شرميون : وصيفة أخرى .

أوروس : رومانى فى معية أنطونيوس وهو عبده وتابعه وصفيه .

أولمبوس : طبيب رومانى فى بلاط كليوباترا .

أنشـــو : مضحك الملكة .

غانمـــيز : ساقيها .

حـــبرا : عرافها .

أيـــاس : شادیها .

أخيـــل : قائد الأسطول المصرى وربان أنطونياد سفينة كليوباترا .

بـــولا : شاعر .

أغا القصر

(حـ) النكرات المسرحيـة : جنود وقـوّاد مصريون ورومانيون . راقصات . عزاف .

الفصل الأول

المنظر الأول

« فى مكتبة قصر كليوباترا ــ حابى وديون وليـياس جلوس إلى »
« عملهم . يسمع جماعة من العامة خارج القصر ينشدون هذا النشيد »

يومُنا فى أكتيُوما — ذكرُه فى الأرض سارْ
إسألوا أسطولَ روما — هل أذقناه الدّمار !

* * *

أحرز الأسطولُ نصرا — هزّ أعطافَ الدّيار
شرفاً أسطولَ مصرا — حُزْتَ غايات الفَخار

* * *

صارت الإسكندريه — هى فى البحرِ المنار
ولهـــا تاج البريه — ولهـا عرش البحار

* * *

حابى : إسمع الشعبَ (دُيونُ) — كيف يُوحون إليـه
ملأ الجوَّ هُتافاً — بحيـــاتى قاتليْــه

أثَّر البهتانُ فيه وانطلى الزور عليه
يا له من بَبَّغاء عقله فى أذنيه

ديون :

حابى ، سمعتُ كما سمعتَ وراعنى أن الرَّمِيَّة تحتفى بالرامى
هتفوا بمن شرب الطِّلافى تاجهم وأصار عرشَهمُ فراشَ غرام
ومشى على تاريخهم مستهزئاً ولو استطاع مشى على الأهرام

حابى :

أتذكر يا ديون إذ انطلقنا إلى الميناء نلتمس الهواء
وكان البحرُ كالميْت المُسَجَّى وكان الليلُ للميت الرداء

ديون :

نعم وهناك آنسنا سحابا وراء الليل جللت السماء
فقلت انظر ديونُ تَرَ الجوارى يَطأنَ الماء همساً والفضاء
وأقبلت البوارج بعد حين سوائبَ لا دليلَ ولا حُداء
رَجَعْنَ رجوعَ فُرصان أصابوا من الغزو الهزيمةَ والبلاء
فلم نسمعْ لملَّاح هُتافاً يُبشِّرُ بالقدوم ولا نداء
ولم نَرَ فوق سارية سراجا ولا من ثُقْب نافذة ضياء

حابى : فماذا قلت ؟

ديون :

قلت ديونُ إنى أرى الأسطولَ بالويْلات جاء

دخولُ الظافرين يكونُ صبحاً ولا تُرجَى مواكبُهم مَساء

فلما أصبح الصبحُ انتبهنا نَرى الأسطولَ أزْيَنَ ما تَراءى

تبرّجَت البوارجُ بعد عُطْل وهزّتْ فى ذوائبها اللواء

وردّدَ فى المدينة أن روما عفا أسطولُها ومضى هَباء

فضجّ الناسُ بالبُشْرَى وكدّوا حناجرَهم هُتافاً أو دُعاء

هداك اللهُ من شَعب برىء يُصرّفه المُضَلِّلُ كيف شاء

ليسياس [هامساً لحابى] : [تدخل هيلانة]

حابى ، صهٍ قد ظهرتْ هيلانهْ وأقبلت بالطلعة الفتّانهْ

تَنفَحُ كالزّنبقة الغَيْسانهْ

حابى :

ليسياسُ ، أنهاك عن المجانهْ هيلانةٌ فى القصر قَهْرمانهْ

لها وقارٌ ولها مكانهْ

هيلانه : سلام لك يا حابى

حابى : سلام لك هيلانه

هيلانه : أمرْتُ أن أقول للأمين ستحضرُ المَلْكةُ بعد حين

فبلِّغ الأمرَ إلى زينون

حابى : سيـــدتى سـأفعـــلُ أمرَكما ممتثـــلُ
هيلانه: تقـــرننى بربّـــتى ! ذلك ما لا أقبَـــل
حابى : هيـــلان ، أنت مَلْكتى وأنت وحـــدك المَلَكْ
هيلانه: بل كيلبترا وحـــدَها لم يَحْوِ شمسيْن الفَـــلَك
إن أنت لم تُؤمنْ بها فلسْتَ لى ولستُ لك

[تخرج هيلانة ويدخل زينون من باب آخر فى هيئة تفكير واضطراب]

حابى : ذاتُ الجـــلالة سيدى قـــد آذنَتْنا بالزياره
زينون: هذه حجرتُها لا عدمَتْ طيبَ ريّاها ولا ضوء حلاها
كل يوم تتجـــلى ساعة هاهنا كالشمس فى عز ضحاها
تدخُلُ الدارَ فتنسى مُلْكها بلقاء الكُتْب أو تنسى هواها
[محدثاً نفسه فى ركن قصى من أركان المكتبة] :
أما الشبابُ فقـــد بَعُد ذهب الشبـاب فلم يَعُـد
ويحى أمن بعد السنيـن وقد مررن بلا عدد
أو بعد طـول تجـاربى ومكان علمى فى البـــلد
تجْنى الحسانُ علىّ ما لم تَجْنِ قبلُ على أحد ؟

ديون [هامساً إلى زميله] :
حاب ، ليسياس ، أقسمُ أن زينونَ مغـــرَمُ

فضح الشيخَ حبُّه والهوى ليس يُكتم

ليبياس: بمَن الشيخُ مولَعٌ ليت شعرى متيَّم ؟

ديون : وبمن جُنَّ يا تُرى ؟

حابى [ضاحكا] : كلُّ خاف سيُعلم

زينون [مستمراً فى حديث نفسه] :

مالى جننتُ .فصرتُ أتّهم الشبابَ وأضطهدْ

لم ألقَ رأساً فاحما إلا حَملتُ له الحسد

ووجدتُ لاعجَ غيرة بين الجوانح يتَّقد

فكأَن ظلمةَ شَعره فى مُقلتىَّ هى الرَّمد

وكأَنما سرَقت ذوا ئبهُ شبابى المفتقَد

ولو ان لى ولداً فما ت لما بكيت على الولد

حذَراً وخوفاً أن يكو نَ بها تعلَّق أو وجَد

شكٌّ يعذِّب مهجتى إن المشكِّكَ فى كَبَد

[يلتفت إلى حابى ويطيل إليه النظر ثم يناديه] :

حابى ، بنىَّ

[يأتى إليه حابى]

قل ولا تُخْفِ علىّ ، هل تُحبْ ؟

حابى : أحب ! من قال ؟

زينون: سمعتُ

حابى : من روى لك الكذب ؟

زينون: بُنىّ ، ليسَ بالفتى إذا أحبَّ من عَجب
مَن لم يُحبَّ لم يُؤ دِّ للشباب ما وجب

حابى [متهكما] :

لكن أأدعى الهوى وليس لى منهُ سببْ ؟

زينون: حابى ، بُنىّ لا تَرُغْ منَ السؤال بل أجب
لولا الهوى لم تَكُ فى ظل الشباب تكتئب
ما بال بشْرك امّحى ولونك الغضّ شحب ؟
وللدموع من مآ قيك تكاد تنسكب ؟

حابى [ساخراً] :

أفقْ زينونُ واصحُ من الغوانى أبعد الشيب تخدعُك النساء ؟

زينون [غاضباً] :

أتعلم يا غلام علىّ عشقاً ؟

حابى : دع الإنكار قد برح الخفاء

زينون: ومن أنباك ؟

حابى : أنت !

زينون وكيف ؟

حابى : تَهْــذى فتفضحك الوساوسُ والهُذَاء

كمحموم يبوح وليس يدرى تكشَّف عن سرائره الغطاء

أَبَعدَ العطف والإشفاق يشقى بصحبتك الشباب الأبرياء؟

فكلّ فتى رَأيت زعمت صبًّا يُخامِرُه من الرُّقطاء داء ؟

وما كعمَى الشيوخ إذا أحبُّوا وليس وراء غَيْرتهم بلاء

زينون [لنفسه] :

إلهى قد فُضحتُ وضَلَّ شيبى وضاعت حكمتى وخبا الذكاء

[لحابى] :

صدقتَ بُنىَّ بى داءٌ دخيلٌ وليس إلى الدواء لىَ اهتداء

علىّ تلوّت الأفعى ، فهلْ لى من الأفعى ونَكزتها نجاء؟

أرى ولَهاً وأحسبُهُ جنوناً كسانيه على الكِبَر القضاء

حابى : وتُعطَى حين تلقاها ابتساماً وأنطنيوسُ يُعْطَى ما يشاء

صباحُهما مُغازلةٌ وصيدٌ وللأقداح والقُبَل المساء

أترضى أن يكون سريرُ مصر قوائمهُ الدعارةُ والبِغاء ؟

أتهدمُ أمةً لتَشيــدَ فرداً على أنقاضها ؟ بئس البناء !

أبى ، شيخى ، اجترأت عليك فاصفح
فلم أك أجترى لولا الوفاء

لقد آن التكاشُف والتَواصى بما توحى الكرامةُ والإباء
تعالَ إلى جماعتنا ، فإنَّا جنود الحق يجمعنا لواء
شبابٌ نحن يعوزُنا شيوخ بهم فى المدلهمّة يُستضاء

زينون: كفى ، إنى نفضتُ يدىّ منها ومزّق عن بصيرتىَ الغشاء

حابى : أبى زينونُ قد بحتُ من السر بمكنونى
وما غيرُك زينون على السر بمأمون

[يشير إلى ديون وليسياس] :

أخى ، هذا أثينىٌّ وخِلّى ذاك مقْدونى
كِلا الخلّين للحق كما أدْعوه يدعونى
كلا الخلّين ذو جَدٍّ بأرض النيل مدفون
فليْسا فى هوى مصر وفى طاعتها دونى
فدينا الوطنَ الغالىَ بالجنس وبالدين
ولم نصبر على حكم لروميَّةَ ملعون
ولسنا حزبَ أكتافٍ ولسنا حزب أنطُون
ولا نَخضَعُ للبأس ولا نُخْدعُ باللين

ولم يَبقَ على الوُدِّ   لروما غيرُ زينون

زينون: معاذ الله ، عُدُّونى   من العصبة عُدُّونى

كساك اللهُ يا روما   لباسَ الذلّ والهُون

حابى : أبى ، أنت الطبيبُ وكُلّ داء   له فى صَيْدليّتك الدواء

فَهيِّ لها ابنَ ساعته وعَجِّلْ   يُعَجَّلْ فى السماء لك الجزاء

لعل سمومَكَ الزُّعْفَ المواضى   من الأفعى وفتنتها شفاء

[يدخل جندى من حرس الملكة معلنا قدومها]

الحارس : الملكة !

زينون [كأنما يفيق من حلم] :

الملكهْ !   لا بَرِحَتْ مُمَلَّكهْ !

ودام مجدُ المملكهْ !

[تدخل كليوباترا ومن ورائها ابنها قيصرون بين وصيفتيها شرميون وهيلانة ومن ورائهن أنشو مضحك الملكة وأغا القيصر]

الملكة: تحيّتى لأُمناء المكتبه   وشيخهم أعلى الشيوخ مرتبه

زينون : سلام السّموات فى مجدها   على ربّة التاج ذات الجلالْ

تمنيتُ رأسين لا واحداً   إذا مَسّت الأرضَ هامُ الرجالْ

أُطَاطِىءُ رأساً لمجد النبوغ   وأَخْفِضُ رأساً لمجد الجمال

حابى . ديون . ليسياس [يتلفت بعضهم إلى بعض أسفا] :

أنشو [للوصيفتين وقيصرون] :

أما يُغنيهِ عن رأسيـ   ـن رأسٌ فيه وجهان ؟

فحينًا هو مصرىٌّ وحينًا هو يونانى
وفى مجلس يوليوسَ وأنطونيوس رُومانى
وإن لاقى أغا القصر فنوبىٌّ وسودانى

[يدخل الكاهن أنوبيس من باب مقابل]

الملكة: كاهنَ المُلْكِ سلامٌ لا عَدِمنا بركاتِكْ
صلِّ من أجلى ولا تنـ ـس صغارى فى صلاتك

أنوبيس: رَبَّةَ النيل التَّحيا تُ الزَّكيَّاتُ لذاتِك
حرَستْ تاجَكِ إيزيـ ـسُ ومدَّتْ فى حياتك

الملكة: هُوَ ذا ابنى قيصرونُ يَتلقَّى نفحاتِك

الكاهن [لنفسه] :

إيزيسُ كيف أُصلى على ابن يوليوسَ قيصرْ ؟
أبوه عال ولكنْ فرعونُ أعلى وأكبر

[يسمع هتاف من خارج القصر وجماعة ترتل نشيد النصر السالف فى أكتيوم]

الملكة [عابسة] :

كاهنَ المُلْك ، سادتى ، هل سمعتمْ رَنَّةَ الصوتِ فى جوانب قصرى؟

أنوبيس : هم رعايا مليكتى

الملكة : ليت شعرى

ألخيرٍ تجمَّعوا أمْ لشرٍّ ؟

شرميون:

الجماهيرُ يا مليكةُ بالشـطِّ يموجون فى حُبورٍ و بِشْرِ
سَرَّهم ما لقيت فى أكتيومٍ من ظهورٍ على العدو ونصر
لا يقولون أو يُعيدون إلا نبأً بات فى المدينة يسرِى

الملكة:

يالإِفْك الرجال ! ماذا أذاعوا كذبٌ ماروَوْا صُراحٌ لعَمرى
أىَّ نصر لقيتُ حتى أقاموا ألسُنَ الناس فى مديحى وشكرى ؟
ظَفر فى فم الأمانىّ حلو ليت منه لنا قُلامةَ ظُفْر
وغداً يعلمُ الحقيقة قومى ليس شىءٌ على الشعوب بسِرِّ

شرميون:

ربّةَ التاج ذلك الصُّنع صُنعى أناوحدى وذلك المكرُ مَكرى
كثرتْ أمس فى الإِياب الأقاويـ لُ وظَنَّ الظنونَ من ليس يَدرى
فَأذعتُ الذى أذعتُ عن النصـ ـرِ وأسمعتُ كلَّ كوخ وقصر
خفتُ فى خاطرى عليك الجماهيـ ـر وأشفقتُ من عدَىِّ لك كُثْر
فاغفرى جُرْأتى ، فيارُبَّ ذنب يتعب العذر فيه مهّدْتِ عذرى

الملكة:

شرميونُ ، اهدئى فما أنت إلا مَلَكٌ صيغ من حنان وبرّ
أنت لى خادمٌ ولكن كأنا فى المُلمّات أهلُ قُرْبى وصهر
إنما الخادمُ الوفىُّ من الأهـ ـل وأدنى فى حال عسر ويسر

إسمعى الآن كيف كانَ بلائى وانظرى كيف فى الشدائد صبرى
أيها السادةُ اسمعوا خبَرَ الحر ب وأمرَ القتال فيها وأمرى
واقتحامى العُبابَ والبحرُ يطغى والجوارى به على الدّم تجرى
بين أنطونيو وأكتافَ يومٌ عبقرىٌّ يسيرُ فى كل عصر
أخذتْ فيه كلُّ ذات شراع أُهبَةَ الحرب واستعدّتْ لشر
لاترى فى المجال غيرَ سَبُوح مقبل مدبر مكَر مفرّ
وترى الفُلك فى مُطاردة الفُلـ ـك كنَسر أراد شرًّا بنسر
وتخال الدُّخانَ فى جَنَبات الـ ـجو جُنحاً من ظلمة الليل يسرى
ودَوِىَّ الرياح فى كل لُجّ هزَجَ الرَّعْد أو صياحَ الهزَبْر
وترى الماء . منه عودُ سرير لغريق ، ومنهُ أحْناءُ قبر
يغسلُ الجُرحَ شرَّ مَن غسَل الجر حَ ويأسو من الحياة ويبرى
كنت فى مركبى وبين جنودى أزنُ الحربَ والأمور بفكرى
قلت روما تصدّعت فترى شَطـ ـراً من القوم فى عداوة شطر
بَطَلَاها تقاسَمَا الفُلكَ والجيـ شَ وشبّا الوغى ببحر وبرّ
وإذا فرّقَ الرُّعاة اختلافٌ علّموا هاربَ الذئاب التّجرّى
فتأملتُ حالتىّ مليّا وتدبرت أمر صحوى وسكرى
وتبيّنتُ أن روما إذا زا لت عن البحر لم يسُدفيه غيرى

كنت فى عاصف،سللتُشراعى ... منه فانسلَّت البوارجُ إثرى

خلصت من رَحى القتال وعمّا ... يلحق السُّفْن من دمار وأسْر

فنسيتُ الهوى ونُصرة أنطو ... نيوسَ حتى غدرتُه شرّ غدر

علمَ الله قد خذلتُ حبيبى ... وأبا صبيتى وعونى وذُخرى

والذى ضيّع العروشَ وضحّى ... فى سبيلى بألف قُطْر وقطر

موقفٌ يُعجب العلا كنتُ فيه ... بنتَ مصرٍ وكنتُ مَلكةَ مصر

[ملتفتة إلى زينون] :

زينونُ . فصّلتُ الخبرْ ... عن القتال والسفرْ

وقلتُ عن إيابى ... وخُطة انسحابى

ماليس يعلمُ البلدْ ... ولا درى به أحدْ

فهل لديك الآنا ... مايَجلبُ السُّلوانا

من الأمالى المُسْليهْ ... والصحُف المُلْهيهْ

زينون: عندىَ يا مولاتى ... روائعُ الآيات

تسعون ألف سفْر ... قد كُتبتْ بالتبر

من كل رَقٍّ عجبِ ... فى العلم أو فى الأدبِ

قيصرُ أنطونيو وهب ... لنا مناجمَ الذهبْ

وكلَّ غال مدّخرْ ... من الجواهر الأُخَرْ

أسلابه من حربه وطَعنــهِ وضرْبه
هــديةٌ من قيـصر لبَــلدة الإسكندر

أنشو : إذا كانت الكتْبُ فى شرعكم نظيرَ الجواهر كُفْءَ النُّضارْ
فإنى الغنىُّ بدُرِّ القــواقـ ـع حين يُرصّعُ تبر العُقار
وما الكتْبُ قوتى ولا منزلى فما أنا سوسٌ ولا أنا فار

الملكة : حكيمٌ لعمرى على جهله ظريفُ الحديث لطيفُ الحوار

زينون [مغيظاً] :

ولكنها حكمةُ السائماتِ وفلسفةٌ غيرُ بنت اختبار
وكلتاهما لا تَعَدَّى الشعورَ بحُبِّ البقاء وخوف الدمار

أنشو : رويدك مولاىَ بعضَ السِّباب فليس السِّبابُ سبيلَ الكبار
هَبِ الليلَ طال فقطّعتَه بدَرْسٍ وأصبحتَ تفنى النهار
وأقبلت بالكتب تطوى الطِّوالَ وتَنشرُ فى إثرهنّ القصار
وَزِدتَ على الأرض علمَ السماء كبارَ كواكبها والصغار
إذا ما نفَقتَ ومات الحمارُ أبينك فرقٌ وبين الحمار ؟

زينون [غاضباً] :

ماذا تقول السيده ؟

الملكة [ضاحكة] : واحــدةٌ بواحــده

أبِى أنُوبيسُ ، أرجو

أنوبيس : بـل تَأمُرِينَ مُطاعـهْ

الملكة [مشيرة إلى باب محراب مفتوح ومتجهة إليه] :

هـذا مُقـامُ صلاتى وهيكلى للضـراعهْ

ولى خطايا كثـيره لا تَبرَحُ البالَ ساعه

فادخلْ وصـلِّ لأجلى فمنك تُرجَى الشَّفاعه

[يدخلان المحراب ويتبعهم الحاضرون ما عدا حابى وديون وليسياس]

ديون [متهكما] :

إسكندريةُ صرت رَفرَفَ معبد من كلِّ ناحيـة عليـه ستارُ

اختَصَّ آلهـةُ الجلال بسرّه وتفرّدَ الكُهّان والأحْبـار

ما خَطْبُهم حابى ، وماذا بَيَّتوا

ليسياس : ما هذه الألغاز والأسرار ؟

حابى :

أرأيتَ وقعةَ أكتيوم وماجرى فيهـا وكيف تصرَّفَ المقدار

ليسياس، إنك قد سمعت حديثَها كالسحر فى الآذان حين يُدار

تبدو الخيانةُ فيه وهى أمانةٌ ويُرى الثباتُ عليه وهو فرار

وعلمت كيف نجت وكيف انفض عن أنطونيُو أسطولُهـا الغـدّار

ليسياس :

والیوم حابى، أين أنطونيو وما فعلت بفَلّ جيوشه الأقدار ؟

قل لى : أحىٌّ فى البلاد مشرَّدٌ هو أم له قــبرٌ بمصر يُزار ؟

حابى :

ليسياس ، تسألنى تجاهلَ عارف

ليسياس : بل جاهلٍ لم تأته الأخبار

حابى :

لم تأت حتى جاء فى آثارها للحبِّ أجنحــةٌ بهن يُطار

ويقال بل أخذته تحت شراعها ونجا به فُلْكٌ لها محصار

تجرى الرياحُ بما تشاءُ قلوعُه ويســيرُ فى طاعاته التيار

ويُقالُ غضبانٌ عليها عاتبٌ ويُقالُ بل حَنِقُ الفؤادِ مُثار

وعلى صفاء العاشقين سحابة وعلى سلام الصاحبيْن غُبار

آلَى وأقسم لا يُرى فى قصرها حتى يُقوَّمَ مجدُه المنْهار

إن البلاء أجلُّ من ألاّ يُرَى

ديون : عجبٌ أتخفَى فى الهشيم النار ؟

حابى :

أنطونيو منا بأقرب سُكنة يدعو من الرومان من يختار

ويُعِدُّ أُهبتَه ليوم حاسم فى البر يُغسلُ عنه فيه العار

ويكون ميدانَ الرحى ومدارَها تلك التلالُ وهذه الأسوار

فهناك خاتمةُ الصِّراع وموقف إما الدَّمارُ بهِ وإما الغار

[يسمع صوت أنوبيس من داخل المحراب مرتلا هذا النشيد] :

إيزيسُ ذاتَ الحجابْ مالــكةَ العالمـينْ
شعبُك لاقَى العذابْ من عَبث الظالمـــينْ

***

يا من خفضنا الجباه لعــزِّها ساجدينْ
صُغنا إليك الصلاةْ من أدمع النادمينْ

ستـــار

المنظر الثانى

«فى إحدى غرف القصر الملكى ورحى الحرب دائرة بين أكتافيوس وأنطنيوس على أسوار الإسكندرية — حابى فى الغرفة حيث تدخل عليه هيلانة»

هيلانة : أتدْخُل حابى مَقاصيرَها ؟ بلغتَ من الْجُرْأة المنتَهى
ستعلَمُ أمرَكَ ذَاتُ الجلالـ ـة

حابى : بل أمرت أن ترانى هنا

هيلانة : عجبت لهـا ولتدبيرها كذلك قد أمرتنى أنا
إذن هى تجمعنا يا حَبُودُ وتجزيكَ عن سَخَطٍ بالرضى

حابى : هيلانةُ خَلِّيكِ من ذكرها حديثُ الأفاعى طويل المدَى

هيلانة : رُويدَك حابى لقد أحسنَتْ فمالى أراكَ أسأتَ الجزا ؟

حابى : هلانةُ ، يا طيبَها خَلْوَةً وإن قَلَّ فى ظلِّها الْمُلتقَى
تَعالىْ هلانةُ نُعطِ الغرامَ عنانَ الحديث ونَشْكُ الجوى
أنيلى يدىَّ يَديْك اللّتين نعيمىَ بينهما والشقا
هَلُمَّ هلانةُ

هيلانة: حابى أراكَ بكُنه الأمور قليلَ الهُدَى
من القصر لا تَلتمسْ خَلْوةً وإن هو من كلّ حسّ خلا
سماء القصور لها أذْنان وأرضُ القصور بعينْ ترى
حابى: هلانةُ لا تقطعى نَشْوَتى بقُرْبك أو حُلُمى باللِّقا
أمهما تَخيَّلْتُ صَفْوَ الحياة خلقتِ على جانبيْه القَذَى؟
هيلانه: حنانَكَ حابىَّ لا تتهمْ ولا تَرمنى بعُقوق الهوى
ولُذْ بالأناة فإن الأناةَ صَديقُ الصّواب عدوُّ الخَطا
فلو كنت وحدكَ شُغلَ الفؤاد لهان البلاء وقلَّ العَنا
ولكن حقوقُ كلوباترة
حابى: وأيُّ حُقوق لها تُدَّعى
[تدخل كليوباترة]
كليوباترا: حُقوقُ الولاية ياذا الغلام حُقوقُ الرِّعاية ياذا الفتى
وصبرى عليك لأجل الفتاة
حابى [مأخوذاً]: إلهى لقد سمعتْ ما جرى
الملكة: وسدّى المسامعَ حُباً بها وأنت تُعينُ علىَّ العدا
وتُرسلُ فى العَرش هُجْرَ الكلام وتُخْفى الحفيظةَ لى والقلى
ولكنْ لتنسَ الذى قدمضى فمثلُكَ تاب ومثلى عَفا

دع الذَّود عن مصرَ لى إننى | أنا السيفُ والآخرون العصا
ولا تُطع الفِتْيةَ العابثين | أُسودَ الكلام نَعامَ الوَغى

[يدخل أنوبيس]

[إلى أنوبيس]

أبى : قد أتيت

أنوبيس : سلامٌ عليْكِ | شُعاعَ المدائن نورَ القرى
الملكة : أبى قد تَلاَقَى هنا العاشقان | وكان بتدبيرِىَ الملتقى
فباركْ فتاتى وباركْ فتاكَ | وكفكفْ هواه إذا ماغلا
أنوبيس : حياتك حابى كنيسيَّةٌ | يشاكلُ أوّلُها المنتهى
مقيَّدة باليقين القَنوع | وما أمرَ القلبُ أو ما نهى
الملكة : كزَهر المقاصير لم ينتفعْ | بطول الأديم وعرض الثرى
أنوبيس : وتحسبُ فى الكتب علم الحياة | وما منهُ فى الكتب إلاّ الشَّذا
حابى : لعلّى كذى الشك فى حرصه | يَقيس الطريقَ ويُحصى الخُطا
أرى راكبَ الشك ملءَ المجال | طويل العنان بعيد المدَى
ولو شكَّكتْ فى السراج الفَراشُ | لكان سلاماً عليها السّنا
أنوبيس : ولكن تَمرُّ على ما تراه | تُجاوزُهُ نحو ما لا يُرى
وهذا الملاكُ

[مشيراً إلى هيلانة]

كمولاته | طليق الإرادة حُرُّ الحجَى

تَمَشّى على جَنَبَات الحياة كما يتمشى شُعاع الضُّحى
يخوض الوحول ويغشى الحُلىّ ويأوى الحضيضَ ويعلو الذُّرا
ويخترقُ العَرَصات الفساح وينفُذ من ضَيِّقات الكُوَى
ويرتعُ بين أنوف الأسود ويلعب بين عيون الظِّبا

الملكة: ولكنهُ طاهرٌ حيث طافَ نقىُّ الذُّيول عفيف الخُطا
أبى قد نسينا حديث القتال فمنذ الصباح تدور الرحى
وجيش الحليف وجيش العدو بظهر المدينة رهن الوغى
هنالك يُقضى مصيرُ البلاد فإما البقاء وإما الفنا
ومن عجب كاد يمضى النهارُ وما من رسول ولا من نَبا

[يدخل جندى من جنود أنطونيو منهوكا يعلوه الغبار]

الجندى: سيدتى جئتُك بالأخبار لقد جرت بسعدك الجوارى
انتصرت جنودُنا الضَّوارى تحت لواء البطل المغْوَار
قيصرُ أنطونيو على آثارى

الملكة: يا فرحا ما أعْظَمَ البشاره ! حلّت على أُكتافيو الخَساره
«وأكتيوم» قد أخذنا ثاره خُذ يا رسولُ هذه البُشارهْ

[تمنحه بدرة من الذهب فيخرج من باب وتدخل شرميون من باب]

شرميون: سيدتى يا طربا سيدتى يا فرحا !
دارتْ على أكتافيو وجيش أكتافيُو الرحى

هيلانه : مَلْكَتى هـل تسمعين

[يسمع صوت بوق وهتاف من بعيد]

الملكة: [منصتة] صوت بـوق وهتـاف

[تقوم الملكة إلى النافذة وترهف أذنيها وعينيها]

هـو والله نشيدى والمغنُّون جنودى
والخاريقُ التى تَخـ ـفقُ من بُعْد بنُودى
ولديها فارسٌ مُلـ ـتثم شاكى الحديد
يَتراءى فى عنان الـ ـجَوِّ كالبُرْج المَشيد
هو أنطنيوسُ ذُخْرى وطَـريفى وتليدى

[إلى شرميون وهيلانه]

أيها البنتان هـذى ليلةُ العيـد السعيد
صَلِّيا مثلَ صَلاتى واسجُدا مثلَ سجُودى

[يسجد الثلاثة لحظة . ثم تنهض الملكة أولا وتتجه نحو النافذة]

هو ذا أنطونيـو من جانب الميناء أقْبَلْ
هيـكلٌ يحملـه من صافنات الخيل هيكل
الـرِّداءُ الأرْجُوانىُّ على عطفيْه مُسبـل
مَبسِمٌ يضحكُ من تحـ ـت جبين يتهـلَّل
هـو ذا يدنـو

شرميون : أتى والـله

هيلانة : مولاتي ترجَّل

الملكة [تبتدر الباب]

أيها البنات هذي ليلةُ العيد السعيد

[أنوبيس هامساً لحابي]

حابي، أحيطَ القصرُ بالذئاب وبي من السُّخط عليهم مابي

[للملكة] :

سيدتي تأذنُ في انسحابي ؟ وتأذنين مَلْكتي لحابي

الملكة [ضاحكة] :

إلى الأفاعي ؟

أنوبيس : لا إلى المحراب

الملكة : رَأيكما في المُكْث والذهاب

[يخرجان ويدخل أنطونيو وحاشيته وقواده وتابعه أوروس . أنطونيو يقبل على الملكة ماداً يديه]

أنطونيو : إلهتي !

الملكة : قيصري !

أنطونيو : سلطانتي !

الملكة : ملكي !

أنطونيو : عندي لك اليومَ يادُنياي أخبارُ

الملكة : عَجِّلْ فديتُكَ

أنطونيو : لا ، لا بدَّ من ثمن

الملكة : كرائمُ المال ؟

أنطونيو : ما للمال مقدارُ

[يمد إليها جبينه فى ضراعة]

رُدِّى على هامتى الغارَ الذى سُلبتْ فقُبلةٌ منك تَعلوهـا هى الغـارُ

[تقبـله]

كليوباترا:

اليومَ تَعلمُ رُوما أن ضَرَّتهـا تُقـلِّدُ الغارَ مَن تَهوَى وتختار

واليومَ تعلمُ روما أن فارسهَا جيشٌ بمفرده فى الرَّوْع جَرَّار

أنطونيوسيدى، هل نحن فى حُلُمٍ؟ أسالمٌ أنت ؟ لا أسرٌ ولاعار ؟

أنطونيو :

أسْرٌ؟ وَهِمتِ كلوباترا أتَظْفَرُ بى أيدى الكُماة وفى كفِّى أظفـار

لو قلتِ قتلٌ لـكان القولُ أشْبهَ بى كأسُ المنايا على الأبطال دَوَّار

الحربُ تَعلمُ والأيامُ تَشهدُ لى أنى شديدٌ على الأقران جبّار

لو كنتِ شاهدتِنى والحربُ جارفةٌ والصفُّ تحتى بعد الصفِّ ينهار

قد جُنَّ تحتى جوادى فهو عاصفةٌ وجُنَّ نَصْلى بكفى فهو إعصار

رأيت حملة صدق غيرَ كاذبة لاالسَّيْلُ يَحملُها يوماً ولاالنار

لمـا صَدمتُ جناحيْهم وقلبهمُ عن الخيام ومن أوكارهم طاروا

وماوجَدتُ لأكتافيو وقادته ريحاً ، ولم أتبيَّنْ أيَّةً ساروا

ومالت الشمسُ أو كادتْ فراجَعَنى شوقٌ إليك قديمٌ الداء سَوَّار
حتى رَجَعتُ ولو أنى طَردتُهم لباتَ أكنافُ عندى وانقضى الثار

كليوباترا :

تركتهم لغد ! هذى مجازفةٌ غدٌ غيوبٌ وأسرارٌ وأقدار

[مخاطبة أوروس]

أوروسُ ، أنت بفنّ الـ ـقتال أعلَمُ منّى
الحربُ فَنُّك أورو سُ والسياسةُ فنى
إن كان « مَرْكُ » إلها فأنت في الحرب جنّى
فكنْ بحقّك عَونى وقلْ لقيصرَ عنى
إن المنى لم تُقصّرْ بل قَصّرَ المتمنى
فلو صَبرتم قليلا وسرتُم فى تأنى
أرحتُمونى وروما من الخصام المعنّى

أوروس: سيدتى لم تقصدى لمّا عذلت سيدى
عَجّلت فى الحُكم على مالم ترى وتشهدى
لقد حملنا حملة كمثلها لم يُعهَد
استنفدتْ بأسَ القنا وقُوّةَ المُهنّد
فكان لا بد لنا نرجى القتال للغد

أنطونيو: كلوباترا دعينا من ... تجنّيك كلوباترا
أتبكين على الصبر ... وقوم حُرموا الصبرا؟
وبي من صبرك الواهي ... جراح الأمس لم تبرا
لقد مَنَّيْتُ أسطولي ... لدى أسطولك النصرا
حَليفٌ كنت أرجو أن ... سأشتدُّ به أزْرا
فَعَبَّا تحت أعلامـ ... ـك حتى زَحَما البحرا
وقد كانا الجناحيْن ... وقد كنتُ أنا النَّسرا
وأجرى الفُلْكَ أكتافيو ... فأجريتُ كما أجرى
صَففْناها وأرسلْنا ... بها تَقتحمُ الجسرا
كلانا مارَسَ الحربَ ... وعانى الكرَّ والفرَّا
فلما آذنتْنا الحر ... ب بالمعركة الكبرى
تَسلَّلتِ بأسطولـ ... ـك من غمرتها الحرّى
فقلتُ انسحبتْ ضعفاً ... وقال الناسُ بل غدرا
ولو كان لهم قلب ... كقلبي التمسوا العذرا

كليوباترا: أنطونيوسُ مَلكي ... أنطونيوسُ سيِّدي
ليس العُبوسُ سُنَّةً ... لوجهك الطَّلْق النّدي
ولستَ من يغضبُ في ... ليل الشّراب والدَّد

ولست للكأس على شاربها بالمفسد
قلبك كنز الحب والـ ـرحمة والتودد
وكم حقدت ثم أصـ ـبحت كأن لم تحقد
ألست بالأمس رأمـ ـس لفتنة لم تبعد
وهبت لي جريرتي والصفح نصف السؤدد
فاطوِ معي حوادث الـ ـأمس ولا تجدد
وامض معي في لذة الـ ـيوم ودع همّ الغد

أنطونيو: كليوباترا بحبك من التأنيب خلينا
لقد سقت وقوادي إليك النصر فاجزينا
مري بالكاس والطاس وبالندمان يسقينا
وبالقصف وبالعزف وحذاق المغنينا
وما طيب ألواناً وما طاب رياحينا
وقولي الشعر علويا كما كنت تقولينا
وأوحيه إلى شاديـ ـك يلقيه فيشجينا
غداً نستأنف الحرب ونطويها ميادينا

أنشو: ونغشاها مخامير ونلقاها مجانينا

كليوباترا: مُرْ بما شئت قيصرُ وأشِر كيف تأمرُ

لكَ قصرى وما حوى الـ ... ـقصــرُ كلُّ مسخَّر
ليس شىءٌ وإن غـلا ... عن حبيب يؤخَّـــر
لَتكونَنَّ ليــلةً ... آخرَ الدهر تُذكَرُ
لا نُبالى إذا صَفتْ ... بعــدها ما يُكدِّر
تَحلُمُ الحُلْمَ لستَ تَد ... رى بمـاذا يُفسَّـــر

[لوصفائها ووصيفاتها] :

البـدارَ البـدارَ يا وُصفائى ... ووصيفاتىَ البدارَ البدارا
قيصرٌ قيصرٌ هو الآمرُ النا ... هى على القصر فليكنْ ما أشارا
هو يبغى وليمـةً فاصنعوها ... وانسقوها كما اشتهى واختارا
أطلعوا هذه الشموعَ شُموساً ... تَذَرُ الليـلَ بالعَشىِّ نهـارا
وأعدُّوا الخوانَ قد حُمِّل الألـ ... ـوان شَتّى وجُلِّلَ الأزهـارا
واجمعوا بالمُدام شَمْلَ النَّدامَى ... وأديروا الكئوس والأوتارا
واجعـلوها وليمـة وبسـاطاً ... يتبـارى خلاعـــةً ووقارا
مصرُ إن أوْلمتْ سَمتْ بالأغانى ... درجات وأسمت الأشـعارا
لا تَسـيروا على ولائم روما ... سَرَفاً فى الفُســوق واستهتارا
كلما أولمتْ أساءتْ إلى العقـ ... ـل وجَرَّتْ على الحضارة عارا
ولقـــد تجعـلُ النِّمارَ نَداما ... ها وأسْـد العَرينـةِ السُّمَّارا

قائد روماني [لزميله غاضباً] :

أتسمعُ ما تقول عَدوُّ روما قد اجترأَتْ على روما البَغيُّ

أتحت لوائها وبجانبْها يخوضُ الحربَ من روما كَميٌّ ؟

الآخر :

غداً تَلقى وإن غداً قريبٌ عقاباً في البلاد له دَويُّ

الأول [لأنطونيوس في عتب وغضب] :

أميرىَ أنطونيو أفى الحق أنّنا نَبيتُ سكارَى والعدو مُبيِّتُ ؟

[ينظر اليه أنطونيو نظرة طويلة ثم ينصرف عنه إلى كليوباترا فيهمس القائد] :

ألا إنه ليسَ له ما وراءَه غرامُك حيٌّ فيه والمجدُ ميّتُ

ستار

الفصل الثانى

«فى حجرة الولائم بالقصر الملكى ، حيث ترى كليوباترا ووصيفتاها هيلانة»
«وشرميون،وأنطنيوس،وأوروس،وبضعة من القواد الرومان،وأولمبوس»
«طبيب الملكة، وأنشو مضحكها، وغانميز ساقيها،وحاجب يعلن أسماء القادمين»

أنطونيو: قياماً نَشرب الخمرا عـلى حُبِّ كلـوباترا

كليوباترا: على حُبـك أنطـونيو على الجيش على مصرا

قائد رومانى : على روما

كليوباترا: دَعـــوا روما ولا تُجروا لهـا ذِكْرا

فما أنطـونيو منهـا وإن كان ابنَهَا البِكْرا

ولـكنْ تحت أعلامى يَقـودُ الـبرَّ والبحرا

القـائد : أحـقٌّ ماركُ أنطونيو س من رومِيَّة تَبرا ؟

[تنظر اليه كليوباترا فيقرأ فى عينيها ما تريد]

أنطونيو : أجلْ أَتبـعُ مـولاتى ولا أعصِى لهـا أمرا

كليوباترا: على حُبكَ أنطـونيو

أنطونيو : ثلاثاً أربعاً عَشرا

أنشو : وإن شئتَ فعشرينَ إلى ما فوقها سُكْرا
وإن شئتَ من الدنيا وصَلْنا السُّكْرَ للأخرى

قائد رومانى [لزملائه همساً] :

دَعوا أنطونيو إنى أرى السُّكْرَ به أزرَى
لقد كان الفتى الفَطْنَ فصار الحَدَثَ الغِرّا

قائد آخر [همساً] :

سنلبثُ ساعةً نحتالُ حتى إذا سُلَّتْ عقولهمُ انسللنَا
فما المُتَدلِّهُ السِّكِّيرُ أهلا لِتنصرَهُ السيوفُ إذا استُلِلْنا

الحاجب :
أياسُ المُغنّى وجوْقَةُ العُزّافِ
وراقصاتُ القصرِ

[يدخلون]

كليوباترا: أهلاً بوفدِ الآلهةْ أهلِ الفنونِ النابِهةْ
الحاجب : الشيخُ زَيْنون
رُبّانُ أنطونْياد [يدخلان]

أنطونيو: ماذا عن الأُسطول منـ ـكَ يا أخيلُ نَعلمُ ؟
هل خَمَدتْ فتنتُه أو لم تزَلْ تَضَرّمُ ؟

أخيل : مَولاىَ إن البحرَ يُخفى سِرَّهُ ويكتمُ
وما نواه فى غد مثْلُ غدٍ مستَبهمُ
فلا أقولُ مُقدِمٌ ولا أقولُ مُحجمُ
ولا أقول ينبرى للحرب أو يستسلم

كليوباترا: أخيلُ ، دَعْنا من غد إن غداً تَوَهُّمُ
أخيلُ ، ما العيشُ سوى ساعةِ صفوٍ تُغنَمُ
فلا تَكنْ كداخلٍ على الندامىَ يلطم
أتيْتَهم مُنادماً لم تأتهم ليَندموا
اليوم شُربٌ

زينون : وغداً حربٌ

غاغـيز : كلامٌ مُحكَمَ !

الحاجب : بُولا الشاعرْ حَبْرًا الساحرْ

كليوباترا [ضاحكة] :
حبْرا ، أعندكَ سِحرٌ يَشُل طاغوتَ رُوما ؟
ويْجعَلُ الناسَ فيها حِجارةً ورُسوما ؟
[القواد الرومانيون يدمدمون]

أنطونيو : سيدتى لا تجرحى فُؤَّادى ولا تَنالى بالأذى أجنادى
وقلّلى السُّخط على بلادى

كليوباترا : أنطونيو ما أنت رومانيٌّ ألم تقل إنك لي جنديٌّ ؟

أنطونيو : بلى ، وددتُ أنني مصريُّ وأنني تابعُك الوفيُّ

ما في سوى رضاك لي مَضيُّ

أنشو : تلك والله قضيّهْ أصبح الراعي رَعيّهْ

حَكم الحبُّ على قيصـرَ والحبُّ بليّهْ

صار كالشعب وساوَى هَمَجَ الإسكندريهْ !

أنطونيو : حبرا ، تكلمْ ألا عجيبهْ ؟ من سحر منْفٍ أو سحر طيبهْ

حبرا : إلَه الحرب سامحني فإني غُلِبتُ على أبالستي الغضابِ

هُمُ لا يَجلسون على غِناء ولا يتحدثون على شراب !

كليوباترا : ولكنْ قيصرٌ يَدعوك حبرا وقيصرُ لا يُردُّ بلا جواب

وأنت الكاهنُ العرافُ فانظر أغيرُ السحر شيءٌ في الجراب

حبرا : إذا ما شِئت مولاتي فإني أطالع في الكفوف وفي الكتاب

كليوباترا : أُدْنُ من قيصرَ حبرا وانظرِ الكفّينِ واقرا

أنطونيو : تعالَ حبرا وقلِّبْ يَدَيَّ يُمنَى ليُسرى

لعل أسرارَ كفي كواشفٌ لك سِرا

[يتقدم حبرا ويمعن في كف أنطونيوس]

ألا ترَى لي بقاء ؟ ألا ترَى ليَ عُمرا ؟

حبرا : يا عَجَبَ الفال ! مولا ي أعجبُ الناس أمرا
حياتُه بيديْه والناسُ يَحيَوْن قَسْرا
إن شئتَ عشتَ نهارا أو شئتَ عُمِّرْت دهرا

[قائد روماني إلى زملائه همساً] :

لو كنتُ منه قريباً لقلتُ فى أُذن حبرا
حياتُه فى يَدَيْه أم فى يَدَىْ كيلوباترا !

كليوباترا : تعالَ الآنَ سَلْ كَفِّى وبَيِّن ما الذى تُخفى

[يتقدم حبرا إليها ويمسك يدها بعناية وشغف]

حبرا : يا لك كفّاً كنقيِّ العاج ناعمةٍ كَخَملِ الدّيباجِ
لامِسُها من الجحيم ناجى !

[ضحك]

تفدى الأكُفُّ كلُّها يمينا بيضاءَ حمراءَ ترفُّ لِينا
كما أظلّ الشّفقُ النّسْرينا

أنطونيو [ضاحكا] :

سمعتِ حبرا مَلِكتى كيف ابتكرْ كلِّف أن يَصنعَ سِحراً فشعَرْ

بولا الشاعر : السحرُ والشعرُ سواءٌ فى الأثرْ

كليوباترا : لقد أعجبكَ الشعرُ وراقتْكَ معانيهِ
وما سَرّكَ أنطونيو سُرورى كلُّه فيه
فما تأمر فى حبرا بأى البر أجزيه ؟

حبرا [لأنطونيو] :

جائزتى يا سيّدى تقبيلُ هذه اليد !

أنطونيو [ضاحكا] :

قبِّل ولا تتردَّدِ

[يقبل يديها بين إقدام وإحجام] :

حبرا : عَجَبٌ عينىَ لا تَقْـ وَى على هـذا الضياء
هذه كفُّ إلهٍ جاء فى زىِّ النساء

كليوباترا : خَلّنى من زُخرُف المد ح ومن زور الثناء
ما وراءَ اليد يا عرّا فُ من غَيْب القضاء ؟
أحضيضٌ يومىَ الآ خِرُ – قل لى – أم سماء؟
خاتَمُ الأيام أوْلىَ باهـتمام العظماء

حبرا : ملْكتى يومُك فى الأيّ ام منشور اللواء
نابِهٌ الصبح كيوم الشمـ س عُلْوىُّ المساء
خَطَرَ العز عليه ومشى فيه الإباء
ثم يتلوه بقاء لم يُطاوِلْه بقاء

أنشو [لزينون] :

رأيتَ الشعرَ قد أجدَى فماذا قلتَ يا فار ؟

زينون : إلهتى ومَلاكى كُفّى المُهرِّجَ عنى

قد نال منى ولولا ناديك ما نال منى

أنشو : سيدتى عبدُك أنشو قد صدقْ

الفارُ فى مَكتبة القصر نطق

يقول إن أسرقْ فزينونُ سَرق !

هَمِّىَ فى الجلدِ وهَمُّه الورق

يَسطو على آثار كلِّ من سبق !

أنطونيو : إنى أرى أنشو وأمثالَه زادوا على زينونَ فى الجُرْأهْ

يا وَيْحَ للشيخ على فضله أصبح فى مَجلسهم هُزْأهْ

أنشو : هَبوه فى الدرس بحراً هبوه فى العلم أُمّه

لا يَخلُقُ العلمُ نفساً ولا يُنبِّه همّه

كم عالم فى يد الجا هلين مُلقَى الأزِمّه

كليوباترا: أقِلَّ المَزحَ يا أنشو وأرسِلْه بمقدار

فلولا الجهلُ ما رُحتَ تَقيسُ اللَّيثَ بالفار

زينون : يا سماء احفظى ويا أرض صونى

أظهرتْ عَطفَها على زينون !

كليوباترا: يا غانميز هات النبيذ

هات اسقنى واسق الحبيب

واسق الملا

بولا الشاعر : بنتُ الدِّنانْ أمُّ الزمانْ
خبَّأها في قَبْوه
ساقي «مِنَا»
لونُ الفَرَحْ حنَّا القَدَحْ
سِرُّ السرورْ صَفوُ الحياهْ
قُوتُ المُنى

كليوباترا: قيصرُ ، ذي سُلافةُ الفيوم
تُنْمَى إلى عَقائل الكروم
مخبوءة من عهد مصرائيم
قد عُمِّرت كعُمُر النجوم
دنانُ مصرِ لا دِنانُ الروم

القواد الروم [يدمدمون ويتهامسون] :

قائد : قولوا يا رومانيُّونا تحيا روما
آخر : تحيا
ثالث : تحيا
أنشو [ضاحكا] · تحيا الخمر يحيا السُّكْرُ
القواد : · تحيا روما
جماعة من المصريين : تحيا مصرُ

أنطونيو : أيها الشادى أياسٌ بلغ السُّكْرُ مَداهْ
غَنِّنى شعرَ مَلاكى غننى شعرَ الإله
أنا لا أطرَبُ حتى أسمعَ «الحبُّ الحياه»

أياس [مغنيا] :

أنا أنطونيو وأنطونيو أنا ما لرُوحينْا عن الحب غنىً
غَنِّنا فى الشوق أو غَنِّ بنا نحن فى الحب حديثٌ بعدنا

رَجّعتْ عن شجونا الريحُ الحنونْ وبعينْينا بكَى المُزْنُ الهَتونْ
وبَعثنا من نُفاثاتِ الشُّجونْ فى حواشى الليل بَرقاً وسَنىَ

خَبِّرى يا كأْسُ واشهدْ يا وتَرْ وارْوِ يا ليلُ وحدّثْ يا سحرْ
هل جَنيْنا من رُبا الأنس الثَّمَرْ ورشفنا من دَواليها المُنَى

الحياةُ الحبُّ والحبُّ الحياهْ هو من سَرْحتها سرُّ النّواه
وعلى صحْرائها مَرّتْ يداه فجرتْ ماءً وظلًّا وجَنَى

نحن شعرٌ وأغانٌّ غدا بهوانا راكبُ البيد حدا

وبنا الملاحُ فى اليمّ شدا وبكَى الطيرُ وغَنَّى مَوْهنا

من يكن فى الحب ضحى بالكرَى أو بمسفوح من الدمع جرَى
نحن قرّبنا له مُلْكَ الثرى ولقينا الموتَ فيه هيّنا

فى الهوى لم نألُ جُهدَ المؤثر وذهبنا مَثَلاً فى الأعصُر
هو أعطى الحبَّ تاجَىْ قيصر لم لا أعطى الهوى تاجىْ مِنَا

* * *

صوت : مرحى مرحى يحيا الفنُّ
آخر : يحيا الشعرُ
ثالث : يحيا اللحنُ

[تقوم كليوباترا الى شرفة فيتبعها أنطونيوس]

قائد رومانى [لزميل من زملائه هامساً] :

هلّا نظرتَ إلى الأميرة ؟ إنها سكْرى تعثّرُ فى خليع عذارها

آخر : وتأملّ المفتونَ كيف جرى على آثارها وانجرَّ فى تيارها

آخر [لزملائه حيث يسمعه أوروس وألمبوس] :

وانظرْ إلى أوروسَ فى تردّده يأبى الهُتافَ معنا لمولده

أولمبوس [ساخراً] :

أوروسُ ملءُ يومه ملءُ غده فتى تَضجُّ الحربُ من مُهنَّده
ويَشتهى الأبطالُ فضلَ سُؤدده قد راعنى فَناؤه فى سيده

بنفســه وقومه ومولده يَغلو غُلوَّ الـكلب فى تودده

يُقيِّدُ الـكلب وراء مرصَده فيحرسُ الدارَ على مُقيِّده

أورُوس :

تلك الدُّعابةُ يا طبيبُ ثقيلة فحذار ثم حَذارِ من تَـكرارها

لولا الوليمةُ والشَّرابُ وحُرْمة لأميرة الوادى السعيد ودارها

لنَزَعتُ من أقصى لَهاتك مُضْغَة كثُرَتْ على الأبطال فى استهتارها

أولمبوس :

أوروس !

أوروس :

أولمبوسُ صَهْ بَرِحَ الخفا ورأيتَ نفسك فى مَقاضح عارها

ماذا خبأتَ من السُّموم لملْكة غفَلَت عن الأفعى ولؤم جوارها ؟

إلَّا تـكنْ علمتْ فإنك عندنا جاسوسُ أكتافيو على أسرارها

مازلتَ منذ وفدتَ تُطلعُه على أخبار قيصر أو على أخبارها

إنا رجالَ الحرب ليس يفوتُنا لحظُ العيون ولا خَفِيُّ حوارها

[أولمبوس يحاول أن يتكلم فيمسك به قائد رومانى ويهمس اليه] :

أقْصرْ أخى إن الجماعةَ عربدت فإذا لَججْتَ لفتَّ من أنظارها

إسلمْ بنفسك فى الظلام ولا تُثِرْ ريباً أخافُ عليك غِبَّ مثارها

إنى لأخشى الـكأس أن تجرى دَماً فتُصيبَ شيئاً من رَشاش عُقارها

أولمبوس [لنفسه وهو ينسل إلى الخارج] :

أورروسُ أنطونيو احسابُكما غداً روما الأبيَّةُ لم تَنَمْ عن ثارها

[يخرج]

أنطونيو [من أقصى البهو] :

أما للرقص هيـــلا نةُ في ليلتنا حصَّه ؟

ألا نَجْمَعُ بين الـكا س والنغْمةوالرقصه؟

فهذى فرصة الأنس وقد لاترجع الفرصه

هيلانة : الراقصاتُ يَقُمْنا الراقصاتُ يَثِبنا

ولا يدعن افتنانا ولا يقصِّرن فنا

[تقوم الراقصات ، برقصة مصرية]

أنطونيو [قادماً] :

مرحى مرحى يحيا الفن

صوت : يحيا الرقصُ

آخــر : يحيـا الحسنُ

أنطونيو :

قد انتصف الليلُ أو فوقَ ذاك وآذنَنـــا بالمُضِيِّ الدُّجى

ودونَ الخيـام سُرى ساعة وعند الصباح تَدورُ الرحى

فهل تأذنين لنـا يا مَلاكُ فلا بد من سِنةٍ من كرى

ولستُ أقولُ مَلاكي الوداعَ ولـكن أقول إلى الملتقى

كليوباترا :

مكانَك قيصـرُ لا تَذهبنّ ولا تبرح القصرَ أهلكَ أسَى

أنطونيو :

ذَرينى أُعَبِّىء للقتال كتائبى ... فلى فى غد شأنان فى البر والبحر

ذرينى أهيِّء للأحاديث فى غد ... فإن غداً يومٌ سيبقى على الدهر

ذرينى أزدْ تاجيْك غارَ وقائعى ... وأقرن بشعبانىْ جلالهما نَسرى

ولستُ أخافُ الدارعينَ وإنما ... أخافُ فُجاءات الخيانة والغدر

وليس كمينَ الحرب ما أنا هائبٌ ... ولكن كمينَ الغدر فى ظُلمة الصدر

[لأخيل] :

فياقائدَ الأسطول هل من مكيدة ... تُدبر لى خَلفَ الشِّراع وما أدرى؟

كليوباترا :

إمض إلى الهيجاء أنـ ... ـطونيو كما يَمضى الأسدْ

إنَّ الأسود فى اللبَدْ ... دونك فى هذا الزَّرَدْ

إمض إلى المجد ولا ... يُقعدْك شُغلٌ فى البلد

المجدُ لايسألُ عن ... صاحبة ولا وَلَد

أنت لروما فى غد ... وقيصرونُ بعد غد

والشرقُ سلطانى الذى ... إكليلهُ لىَ انعقَد

يالَيْثُ سِرْ ، يانسرُ طِرْ ... عُدْ ظافراً أو لا تَعُد

ستار

الفصل الثالث

« معبد فى الاسكندرية ، يقسم جداره المسرح الى قسمين»
« القسم الأصغر خارج المعبد وتنهض فيه شجرة باسقة ،»
« والقسم الأكبر داخله وتظهر فيه حجرة الكاهن الأكبر »
« أنوبيس وعلى جدرانها رفوف نسقت عليهما حقاق »
« وقوارير؛ وهنا وهناك صرر وصناديق يشف بعضها عما »
« فيه من أفاع وحيات — باب خلفى يؤدى إلى المعبد »
« ونافذة جانبية تطل على الفضاء » .

[فى حجرة الكاهن أنوبيس]

أنوبيس [يناجى نفسه] :

يقولون أنوبيسُ وَلوعٌ بأفاعيهِ
ومشغوفٌ بثعبان من الوادى يُربّيه
وفى ناديه حَيّات من الجن تُناجيه
ولو ذاقوا هوى العلم كما ذقتُ فَنوا فيه
ألا يا رُب خدّاع من الناس تُلاقيه

يَعيبُ السُّمَّ فى الأفعى وكلُّ السم فى فيه !

[يخرج من الباب الخلفى]

* * *

[خارج الهيكل — تحت الشجرة — أنطونيوس وأوروس]

أنطونيوس: أوروس إنى جَهدتُ مَشيا ومَسَّنى الضرُّ والكَلالُ

فمل بنــا نَسترحْ قليلا من قبل أن يَدهَمَ الرجال

[يجلس أنطونيوس منهوكا على حجر فتأخذه الذكرى] :

أوروسُ، ماذا دهانى؟ حتى نَسيتُ مكانى

أتيتُ ما هَدّ مجدى وحَطَّ رفعةَ شانى

جللتُ نفسى بعـار يبقى بقـاء الزمان

لمـا حَملَتْ جوادى على الفرار ازدرانى

وضجَّ منىَ سيفى وضـجَّ منى سنانى

ووَدّت الأرض تحتى لو طُهِّرَتْ من عيانى

أنا الذى كان أمضى من الحـديد جنـانى

الشرقُ يَدرى نزالى والغربُ يدرى طعانى

كانَ الملوكُ عبيدى فصرتُ عبدَ الحسان

ولستُ أوّلَ حـُـرٍّ استعبدتْه الغـوانى

[يسكت لحظة ثم يستمر] :

ولم أرَ كالحرب استراح قتيلُها وأفضى إلى القَيْد الأسيرُ المُقَيَّد

ولكن شقيُّ الحــرب والمُصطلى بها

إذا انفضَّت الحـربُ الطريدُ المُشرّد

ولولا اختلافُ الحرب بالناس لم يَهُنْ

عزيزٌ ولم ينزلْ على القيْدِ سيدّ

أورروس :

وقارَك قيصرُ لا تجزعنّ وخلِّ المقاديرَ تجرى المدَى

تَلقَّ الهزيمةَ ثَبْتَ الجنَان كما كنتَ تلقى الفُتوحَ العُلا

فما أنتَ أوَّلُ نَجْمٍ أضاء ولا أنت آخرُ نجم خبا

وقد تنزلُ الشمسُ بعد الصعود وتَسقُمُ بعد اعتدال الضُّحى

ويارُبَّ غارٍ عَراه الجُفوفُ على هامةٍ قد علاها البلى

أمالك أنطونيو أُسْوة بيوليوسَ قيصرَ أين انتهى؟

رأيتك والحربُ تَبلو الكُماةَ فأشهدُ كُنتَ إلهَ الوغَى

وقد كانَ سيفُك غُولَ السيوف وكانت قَنَاتُك غولَ القنا

وكنتَ إذا الموتُ أفضَى إليك تَحدَّيْتَه فانثنى القَهْقَرى

وكان جُنودُك شَر الجنود عليكَ وخيْرهمُ للعدا

فخانت أساطيلُ أمَّلتَها وجيشٌ عَقدْتَ عليه الرجا

وخُلِّفتَ فى عَسكر كالنِّعاج كثير الثُّغاءِ قليل الغَنا

فمن يائس مات قبل القتال ومن خائن فرَّ قبل اللقا

أنطونيو :

إذنْ لم أكن فى الوغى بالجبان ولا خُنتُ أوروسُ عَهدَ الهوى ؟

وتشهدُ أنَى أنطونيوس وأنى ابنُ روما وأنى الفتى ؟

فإن عشتُ عشتُ نَقِيَّ الجبين وإن متُّ متُّ كريم الثنا

[يرى أنطونيو شبحاً فيسأل أوروس مبهوتاً]

أنطونيو : أوروسُ !

أوروس: مولاىَ

أنطونيو: تأمل من ترى ؟

أوروس: هذا أولمبوسُ وقد حَثَّ الخُطا

أنطونيو : تُرَى إلى أين ؟ ومن أين أتى ؟

أوروس: ها هو سارٍ نحونا ها قد دَنا

[يظهر أولمبوس]

أولمبوس: تحيةُ قيصرٍ

أنطونيو : بل أنطونيو لاغير بل قُل الشَّريد المُقتَنَى

لا تخدعونى قادراً وعاجزاً كفى غروراً بالولايات كفى

أولمبوس: مولاى.

أنطونيو :

لستُ اليومَ مَوْلَى أحدٍ أكتافيو السِّيدُ والعبدُ أنا

مررت بالقصر فكيف ناسُه؟ هل عن كلوباترا أولمبوسُ نَبا؟
صرِّحْ أَبِنْ، قُل غدرتْ، قل جدّدتْ بقيصر الثالث دُولةَ الهوى
قد صَنعتْ بى عند حاجة الوغى ما لم يكنْ يصنعهُ بىَ العدا
أسطولُها إلى مراسيه أوَى وجيشُها ألقى السلاحَ ونجا

أولمبوس: مولاى أعْفنى

أنطونيو: تكلمْ لا تخفْ

أولمبوس: إنى أرى عليك روْعَةَ الأسى
مولاى مهلاً فى الظنون واتّئد إن من الظن اتهاماً وأذى
أنت على مالكَ من مُروءة رميْتَ بالغدر أحب مَن وفى

أنطونيو: ماذا تقول؟

أولمبوس: كيلوباترا انتحرت بطعنة الخنجر فى صدر الضحى

أنطونيو:
يا للسماء! انتحرتْ! أين؟ أَبِنْ ولمْ؟ وكيف كان ذاك؟ ومتى؟

أولمبوس:
مَرَرْتُ بالقصر ضُحَى اليوم فلم أجدْ له نَظْما ولا حُسناً يُرى
بَدا لعينىّ خَلاءً موحشا غيرَ عويل ها هنا، وها هنا

أنطونيو:
انتحرتْ! يا للخبرْ! ويا لقسوة القدر!

إن الأمورَ انتقلتْ من خَطر إلى خَطر
ما غَدرتْ وإنما أنا الذى بها غَدر
واخَجْلتَا من قولهم انتحرتْ وما انتحر !
إذهب أولمبوسُ ودعــــنى والهمومَ والكدر
ما بجراحات القلو ب للأطبّاء بَصَر

[يذهب أولمبوس]

[لروما] :

روما حنانَك واغفرى لفَتاك أوّاه منك وآه ما أقساك !
روما سلامٌ من طَريد شارد فى الأرض وَطّنَ نفسَه لهلاك
اليومَ يَلْقى الموتَ لم يَهتفْ به ناع ولا ضَجّتْ عليه بواكى
إن الذى أعطاك سُلطانَ الثرى لم تنعمى لُرفاته بــثَراك
إن الذى بالأمس زِنتِ جَبينَه بالغار عَقّك جُهدَه وعصاك
يارُبّ تاج فى جبينك زاهر عَطّلتُ منه مَفارقَ الأملاك
الأمّهاتُ قلوبهُنّ رقيقــةٌ ما بالُ قلبك لم يَلنْ لفتاك !
أعْرَضْتغَضْبى فىالحياة فرحمةً لا تحرمينى فى الممات رضاك
إن كان موتى كلّ ما تَبغينــه فهناك ! هأنذا أموتُ ،هَناك!
يا أمُّ ، عُذرُك فىاتهام بُنُوّتى بادٍ وعُذرىَ فى العُقوق كذاك
لولا الجمالُ وفتنة من سحره ما حَلّ فى قلبى هوى لسواك

صفحاً كليوباترا فربّتَ زلّةٍ ... قد كنت تغتفرين حين أراكِ
لما لقيتُك فى الجمال وعزّه ... قَهرتْ قُوى الظافرات قُواك
فنسيتُ فى ناديك ذكرَ وقائعى ... وسَلوْتُ أيامى بيوم لقاك
سجدَتْ لأعلامى الصّوارمُ والقَنا ... وأبَى مُهنَّدُ لحظك الفتّاك
قدتُ الجحافلَ والبوارجَ قادراً ... مالى ضَعُفتُ فقادنى جَفناك ؟
أخرجتِ أمرى واختيارى من يدى ... وتركتنى نفساً بغير ملاك
خلتُ السلامةَ فى نَواك فذُقتها ... فإذا الكوارثُ كُلهنّ نَواك
عاديتُ قومى فى هواك وأضرمتْ ... روما علىّ الحربَ من جَرّاك
وشرّدتُ فى شرق البلاد وجَدّفى ... طلبى عِداكِ بغربها وعِداك
أغدو على سيف العدوّ وناره ... وأروحُ بين مكامن وشباك
وتلمّستْ نفسى السيوفُ ورامنى ... فى البر والبحر الكمىُّ الشاكى
كانت حياتى للرجال أليّةً ... واليومَ هُنْت فأقسموا بهلاكى
ولقد ذهبتُ من الظنون مذاهباً ... فذَممتُ عهدك واتّهمتُ وفاك
حتى إذا حُمّ القضاءُ وراعنى ... عُطْلُ المقاصر من بهاء حُلاك
ضَحَّيتُ بالدنيا وقُلت رخيصةٌ ... وبَذلتُ أيامى وقلتُ فداك

* * *

أماناً إلهَ الحرب ما أنت صانعٌ ... بهذا الحُطام المُستباح المُبعثَرِ ؟
لقد ذَلَّ من بعد امتناع كأنه ... بقيةُ نَصْل أو رُفاتُ غَضَنْفَر
صَدعتَ أكاليلى وحطَّمت صارمى ... وجَرَّدْتَنى من أرجوانى المُظَفَّر
ولم تألُنِى هدماً وكنتَ بَنَيْتَنى ... بناء الصَّناع القادر المُتجبِّر
ملأت سبيلى بالهوى وصروفه ... ومن يمش فى أرض الهوى يتعثر
تنكَّرتَ حتى اخترتَ لى معْولَ الهوى ... فليتَك لم تَغضبْ ولم تَتَغيَّر

أروسُ غلامي ، إن فى النفس حاجةً

أوروس: ... وعندىَ أقصى طاعة العبد فأمُر

أنطونيو :

أوروسُ أرى الدنيا بعينىّ أظلمتْ ... وكانت قديماً كالصباح المنوّر
وضاقت بىَ الأرضُ الفضاء فكلُّها ... سبيلُ طريدٍ ضائع الدَّم مُهدَر
غَويتُ وأوْفَى بى على الحُفرة الهوى ... فخفتُ ، ومن يركبْ شَفا الجُرْف يُذْعَر
قُشعريرةُ الخوف اعتَرَتْنِى ولم تكنْ ... إذا ما اقشعرّتْ تحتى الأرضُ تعترى
مُلئتُ من الأحداث رُعباً فضُمَّنى ... إليك وقرِّبْ من إزارك مِئْزرى
أرى الموتَ ممدودَ اليدين كمُنقذ ... لمثلىَ من غَرْقَ الحياة مُسَخَّر
دعانى ، ولو أنى على النفس مُشفِقٌ ... مَدَدْتُ إليه الكفَّ لم أتأخَّر
أروسُ ، أرى الماضى يُطيفُ خَيالُه ... وتَعرضُ لى أحلامُهُ فى التذكر

ذكرتُ بروما أربُعى وملاعبي   وأين ضِفافُ النيل من شطّ تيبر؟
وأيامَ يدعونى الهوى فأُجيبهُ   وينفخُ فى البُوق المنادى فأنبرى
فتنتُ الغـــوانى برْهةً وفتنَّنى   ولكنني عنْ سُودَدٍ لم أقصِّر
فهمّةُ قلبي فى شرابٍ وصَبْوةٍ   وهمَّةُ نفسى فى عَـلاء ومَفْخَر
أروسُ تواقفنا على كلّ غمْرة   وكل مجال ثائر النّقْع أكْدَر
وفى مِهْرجان الفاتحين وعُرسهم   وتحت لواء أو على عُود منْبر
فمالتْ بنا الدنيا فصِرْنا بموْقف   شديدٍ على الأبطال بالذل مُشعر
نرى الأرضَ فيه والسماء تناهتا   إلى فلَكٍ نحْس الجهات مُسمَّر
فكيف مُقامى يا أروسُ على الأذى   وصبرى على العيش الذليل المكدَّر!

أروس :

أجلْ قيصرُ اعتضْنا من العزّ ذلّةً   ومن حلْية الأعلام عُطْلَ التنكُّر
فهُنَّا كأنقاض الحصون على الثرى   وضِعنا عليه كالقنا المتكسِّر
تَهيمُ كأبناء السبيل وطالمـا   أخَفْنا سبيلَ العاهل المُتكبِّر
وما منزلُ الأبطال إلا رَحَى الوغَى   إذا هى دارتْ أو رواقُ المُعسكَر

أنطونيو : فماذا ترى أوروس؟

أروس : رأيُكَ أوَّلٌ   وعندكَ تُرجَى نظْرة الصدق فانظر

لقدعشتُ ظلاًّلاأرى غيرَما تَرَى ولا خيرَ فى الرأى التَّبيع المُسَيَّرِ

أنطونيو:

أروس، أناالأعمى وأنتِ هى العصا فخُذْ بزمام العاجز المُتحيِّرِ

أروس:

أرى ما يراه العاجزون إذا جرى على النفس مَحتوم القضاء المُقَدَّرِ

أنطونيو:

وماذا يقولُ العاجزون إذا ابتُلُوا؟

أروس: يقولون حُكمُ الله يا نفسُ فاصبرى

أنطونيو:

أروسُ، يقومُ العاثرون وقلّما يُقالُ عِثارُ الكوكب المُتغوِّرِ

أروسُ، ألم تفهمْ؟ هو الذلُّ فاشفنِى بضرْبَةِ سَيْفٍ أو بطعنَةِ خنْجَرِ

فإنك حرٌّ إن فعلتَ وفائز بسيفى وأثوابى ودِرْعى ومِغْفَرى

أوروس:

مَعاذ خلال البرِّ مولاى! أعْفِنى فليس يدى تَقْوى ولا السيفُ يجترى

وأنت الذى لو بيعَ بالروح وُدُّه ومالى سوى روحى تقدَّمت أشترى

لآلهة الرومان أشكوكَ قيصرى ظَلمتَ فلم تُنصفْ ولاثى وتَقْدُرِ

أتجعلُ فى الميزان حُبِّى وطاعتى وشَتَّى عروضٍ من ثيابٍ وجَوْهرِ؟

لقد جادلى بالسيف والدِّرع قيصرُ

[يطعن نفسه بخنجره]

وجُدتُ بأيام الحياة لقيصر

أنطونيو :

أوروسُ عفواً قد ذهبتَ ضحيةً   وجَنى عليك تَردّدى المقوتُ
فعلمتَ منى كيف يجبُنُ قيصرٌ   وعلمتُ منك العبدُ كيف يموتُ

[يطعن أنطونيو نفسه فيخر على الأرض جريحا]

[ينتقل المشهد إلى داخل المعبد حيث يدخل أنوبيس إلى حجرته ويناجى أفاعيه]

أنوبيس :

هلمَّ لكنَّ بنات التلال   وجنَّ الخرائب من صالحجرْ
تبدَّلَ من حولكنَّ المكانُ   وأين القفارُ وأين الحُجرْ
يدُ العلم وهى حديديةٌ   حوَتكن من جَنَبات الحُفَرْ
وجاءت بكنَّ إلى حُجرتى   أسارَى القوارير رَهْنَ الصَّرر
أرابنَى الناس فى أمركنّ   وصرتُ حديثَهمُ والسَّمَر
وقيل أنوبيسُ حاوٍ تسيلُ   إليه الأفاعى إذا ما صَفَر
وما فتنتى بجُلودٍ لَكُنّ   مُرَقَّشَةٍ كإهاب النمِر
ولا بهياكلَ مثل العصىّ   من اللحم لا من فروع الشجر
ولا برءوس كدقِّ الحصا   ولا بعيون كوَقْد الشَّرَر

ولـكن أزاولُ علم السموم وعلمُ السموم جليلُ الخَطر
لقـــد كان لى فى معُاناته تجـاريبُ أنفقتُ فيهـا العُمُر
إلى أن نجحتُ ، نعم قد نجحتُ وعاقبة الصـابرين الظَّفَر
فـكم قد شَفيتُ بطىّ اللّديـــغَ وأيقظتُ من نَزْعِه المُحتَضَر
فقيـل إلهٌ أعاد الحيــاةَ إلى الميت أو خدْنُ جنٍّ سَحر
صَنعتُ من السم ترياقَــه وقد يختفى النفعُ تحت الضرر
وأنْتُنَّ والنـاسُ قد تلتقون ففيــكُنَّ شرٌّ وفى النـاس شر

[يدخل حابى خلسة]

أنوبيس [مستمراً] :

وتقتلنَ عُمْىَ عيونِ السلاح ويقتــلُ قاتلهُم عن بصر
لسانُ ابن آدمَ أو نابـكنّ كلا السائلينْ لعـابُ القــدر

حابى : سلامٌ أبت

أنوبيس: حابى ؟ ســلامٌ لكَ يا حابى

حابى : أمشـغولٌ أبى اليـومَ بذات القَرْن والنـاب
وأنطونيوس مهـزومٌ وأكـتافيو على الباب ؟

أنوبيس[باستخفاف وهو يشير إلى أفعى] :

حابى ، تقهقر ناجيـهْ تلك الخبيثـةُ داهيـــهْ

[يتقهقر حابي قليلا بينما يلهو الـكاهن أنوبيس بالحقاق والقوارير]

تلك القوارير وذى الحقاق غوثٌ إلى مستنجدٍ يُساق
لكل سمٍّ عندها ترياق

حابى : أبتى ، من للرّعيّه من لأوطانى الشقيه ؟
خلِّ حيّاتك فى الأسفاط واشعرْ بالرزيّه
بعد حين تملأ الوا دى الأفاعى البشريّه
أبتى نحن من اليو م عبيدُ القيصريه
أدْنِ أذنيك على قدْ سهما من أذنيّه
واسمع البوقَ تجدْ مِن أحرُف الرقّ دويّه

أنوبيس : حابى ، تقبّلْ هذه القنّينهْ واقبضْ عليها بيد ضنينهْ
فإنها ذخيرةٌ ثمينهْ !

حابى [لنفسه] :

يا للسماءِ لأبى ! تُراه يستهزئُ بى ؟
ويحَ له ، عساه جُنَّ أو لعله نبى
أوحتْ له السماءُ علـ ـم غيْبها المُحَجّب
يعلمُ من يُلدَغُ من رقطاءَ أو من عقرب
لأحملَنّ حُقّه مثلَ تميمة الصّبى
يا لكَ شيخاً طيّباً يأتى بكل طيب !

[مخاطباً أنوبيس الكاهن] :

ريعَ الحمَى أبِي فكيـ ف للحمَى لم تَغضَب ؟
دع الأفاعي واشتغلْ بالأفعُوان الأجنب
الوطنُ المَلدوغُ أو لَى اليومَ بالمُطبِّب

أنوبيس : وأين كنت يا فتى وأين فتيان الحمَى ؟
وأين فُرسانُ المَقَا ل هل مَضَوْا إلى الوغى ؟
أدَرتُم وجوهَكم ساعةَ دارت الرحى
تركتم أنطونيو سَ وحدَه يَلْقى العدا
من أجلكم سلَّ الحُسا مَ وإلى الحرب مشى
ما كان ضرَّكم لو الـ تففتم على اللوا ؟
أبعد أن حلَّ على النـ يـل وواديه القضا
ولم يَجدْ من شِيبه ولا شبابه فِدا
أتيتَ تَدعونى كما تدعو العجائز السَّما
الرأيُ ليس نافعاً إذا أوانُه مضى

[يدخل جند من حرس الملكة] :

الجندي : مولاى ، ذاتُ الجلالة

أنوبيس : الملكةُ الآن عندى ؟

[تدخل كليوباترا فى حاشيتها]

كليوباترا : تحيـــةً يا أبت

أنوبيس : سيـــدتى فى حُجْرتى

مُرِى بمـا شـــئت يكنْ وإن تحـــدَّى قدْرتى

كليوباترا :

أبى ، أعلمتَ أن الجيشَ ولَّى وأن بوارجى أبَت المضيَّا

أنوبيس :

علمتُ وكان ذلك فى حسابى وذا حابى به أفضى إليّـا

كليوباترا :

وهل نبّاك عن أنطونيوسٍ وكيف جرتْ هزيمتُه عَليّـا

وما أدرى أأردوْه قتيلا صباحَ اليوم أو أخذوه حيًّا؟

أبى ذهب الحليفُ فكنْ حليفى فقد أصبحت لا أجدُ الوليّا

أبى خفتُ الحوادثَ

أنوبيس : لا تُراعى لَبَاةُ النيل ليس تخافُ شيّاً

كليوباترا :

أبى لا العزلَ خفتُ ولا المنايا ولكن أن يَسيروا بى سَبيّا

أيوطأُ بالمَناسم تاجُ مصرٍ وثَمّتَ شعرةٌ فى مَفْرقيّا ؟

أنوبيس [باستخفاف] :

لتأت المقادير أو فلتذر ... تعالى كلوبترا ألق النظر

كليوباترا :

أفاع؟ أبى، نحها، أخفها؟ ... أعوذ بإيزيس من كل شر

فماذا تريد بإحرازهن ... وهل يقتنى عاقل ما يضر؟

أنوبيس :

أتيت بهن لدرس السموم ... ولم أخل فى علمها من نظر

أداوى بها أو بترياقها ... محب الحياة أو المنتحر

كليوباترا [كأنما تحدث نفسها] :

محب الحياة أو المنتحر!

كفى أيها الشيخ! بل هات زد ... فما بى خوف ولا بى خور

وإن تك بى خشية فى النساء ... فلى جرأة الملكات الكبر

تكلم فليست سموم الأراقم فى الخبث دون سموم البشر

فيارب صفو سقيت الرجال ... فلما تروّوا سقونى الكدر

أنوبيس :

قصار وهن سهام المنون ... وليس يعيب السهام القصر

تمس الفريسة مس السنان ... وتمضى مضاء الحسام الذكر

وكل الذى لمست مقتل ... ولو أنشبت نابها فى ظفر

إذا جرحت لم تقم عن دم ... كذلك يجرح سهم القدر

ومائتُهـــا لا يُحسُّ المنونَ كمَن ماتَ فى النوم لا يُحتضَر

كليوباترا [مرددة قوله فى صوت خافت] :

ومائتُها لا يُحسُّ المنون كمن مات فى النوم لا يُحتضرا

ولكن أبى هل يُصانُ الجمال؟

أنوبيس : نعم لا يَحولُ ولا يَنـدثِر

كليوباترا: وهل يَطفَأُ اللون ؟

أنوبيس : لا بل يُضِيءُ كعارِفَ بعد القِطاف الزَّهَر

كليوباترا :

وهل يُبطِلُ الموتُ سحرَ الجفون ويُبلى الفُتورَ ويُفنى الحَوَرْ

أنوبيس :

كعهد العيون بطَيْف الكرى إذا الجفنُ نامَ به فانكسر

كليوباترا : أبى ، والشفاهُ ؟

أنوبيس : لواقٍ الذُّبول كما احتُضِر الأقحوانُ النَّضِر

وما الموت أقسى عليها فما ولا قُبْلَةٌ من عوادى الكِبَر

كليوباترا: وما عَضّةُ الناب ؟

أنوبيس : ووَخْزٌ أخفُّ وأهونُ من وَخَزات الإبر

كليوباترا: وما شَبَحُ الموت ؟

أنوبيس : ماذا أقولُ ؟

كليوباترا: تُمثله لى كأنْ قد حَضَر

أنوبيس:

زَعَمتِ ابنتى الموتَ شخصاً يُحَسُّ وعَظَّمت من خَطْبه ما صَغُر

وما هو إلا انطفاءُ الحياة وعَصْفُ الردَى بسراج العُمُر

وليس له صُورةٌ فى العيون على قُبْح صُورته فى الفكر

إذا جاء كان بَغيضَ الوجوه وإن جيء كان حبيبَ الصُوَر

كليوباترا:

إذن هذه الرُّقْطُ فى ذمتى فصُنْها وأحسنْ عليها السهر

وأقسِمْ لتَـأت إلىّ بهنّ ولو أن دونى الظُّبا والسُّمُر

أنوبيس:

يميناً بإيزيسَ أحملُهن إليك ولو فى سلال الخُضَر

إذا بات فى خطر تاجُ مصـرَ سبقتُ إليك بهنّ الخطر

كليوباترا:

أتجعـلُ لى يا أبى آيةً أميزُ الرسولَ بها إن حضر؟

أنوبيس:

هو التين أبعثُ حابى به وبالرُّقط بين غُصون الثمر

* * *

ابنتى ذلك محرابى ادخليه للصَّلاهْ

واسكُبى الدمعَ عسى أن يَقْبَل الدمعَ الإله

هو ذو المُلْك الذى يبقى ويفنى ما سواه

[خارج الهيكل — ثلاثة جنود رومانية]

الجندى الأول : تحيا روما يحيا قيصرْ

الجندى الثاني : روما العُظمى أبداً تنصَرْ

الجندى الثالث : ما ذاك؟ ما فوق الطريق؟ما أرى؟

مِيــلاً رفيقىَّ معى لننظرا

الأول : هناك مقتولان ضَرَّجا الثرى

الثاني : نعم أرى ثَمَّ دما وخنجرا

وهيكلينْ من حياة أقفـرا

الثالث : جُبَّارُ يامُصرِّفَ الحروب بارِكْ لنا فى هذه الجيوب!

وابعث لنا بالذهب المحبوب

الأول : ياعَجَبَ الأقدار! أنطونيوسُ؟

الثاني : أنطونيو! أجل وذا أوروس!

وأحسَبُ السيدَ مات بيدهْ ثم حذا العبدُ مثالَ سيِّده

لهفى على أنطونيو فى مرقِدهْ

[يئن انطونيو ثم يحرك رأسه ويتبين الجنود]

أنطونيو :

ويحى أحىٌّ أنا جريحٌ؟ ماذا يُريدُ القضاءُ ماذا

جنودُ أكتاف أدركونى يا ليتنى متُّ قبل هذا

جندى :

لا بل جنودُك لكن خانوك حُباً لروما

آخـر : وما نَسُوك عليهم تحت اللواء زعيما

ترى بهم مَطلعَ الشمس أو تَؤُمُّ النجوما

أنطونيو : يا جنودى وصحابى ليس ذا وقتَ العتاب
اتركونى وعذابى

[يغمى عليه]

جندى : لَهَفى عليه عاده الإغماء وأوشكتْ تَنْزِفُهُ الدماء
وليس إسعافٌ وليس ماءُ

آخـر : هَلُمَّا احملاه هَلُمَّا احملا وجيئا بمولا كما الهيكلا

وأمضى فأُبلغُ أكتافيو الحديثَ أعرِّفُهُ المنزلا

[فى حجرة الكاهن ـ كليوباترا والكاهن والحاشية عائدين من المحراب]

كليوباترا: أبى دخلتُ ونفسى حَيْرَى الزِّمام حزينهْ
وقد تركتُ المُصَلَّى ومِلءُ قلبي سكينه
إن الصَّلاةَ على شدَّ ة الزمان مُعينــه

[يسمع صوت الجند من الخارج]

كليوباترا: ما تسمعون أصيخوا شرٌّ وهذا بَرِيدُهُ
كان الضجيجُ بعيداً والآن يدنو بعيدُهُ

حابى : أسمعتم ا ضجةً صاخبةً وجريحٌ وجُنودٌ فى الطريقْ
ها هُم قد دخلوا الدار به

أنوبيس : دارُنا الشاطىءُ لا يأبى الغريق

حابى : ها هُم قد حضروا

أنوبيس : يا مرْحباً أعدُوّاً كان أم كان الصديق

[يدخل الجنديان اللذان يحملان أنطونيوس]

كليوباترا :
ويْحَ عينى ماذا ترى ؟ ومن المحمولُ كالسيف فى الأكفِّ خضيبا ؟
أيها الجنــدُ ما بأيديكمُ اليوم ؟

جندى : جريحٌ على الطريق أصيبا

كليوباترا :
أفتدرون مَن حَمَلْتم ؟

جندى : حَمَلنا هَيكلا عَزَّ فى الرجال ضريبا
قد عرفناه خَيرَ من هزَّ رُمْحاً ونضا صارماً ولاقى الحُروبا

[تتأمل كليوباترا فى وجه الجريح]

كليوباترا :
آه أنطونيو حبيبى أدركونى بطبيب
ما تَروْن الأرضَ تَروَى من دَم الليث الصَّبيب
أبتى ، أين قوى طبِّكَ والسحرِ العجيب

هو في إغماءة الجُر ح فنبِّهْهُ بطيب
هو ذا يفتحُ عينيْه ويُصغي لنحيبي

أنوبيس [محاولا إسعاف الجريح] :

تلك أنفاسه تَوالَى وهذا جسمه لا يزال غضاً رطيبا
هو ذا قد تَخلَّجت شفتاه وتَهيّا لسانُه ليَثوبا
أيها المَلكةُ ارفُقي بجريح بات تحت الرداء جُرحاً صَبيبا
لا تناديه بالدموع مرارا ربما ضَرَّ جُرحَه أن يُجيبا

أنطونيو :

كيلُبترا ! عَجَبٌ ! أنت هنا ! لم تموتي .. هم إذنْ قد كَذَبونْ

كليوباترا :

سيِّدي روحي حياتي قيصري أنت حيٌّ ؟

أنطونيو : بعد حين لا أكون

كليوباترا :

من نعاني كَذباً ! من قالها لك !

أنطونيو : أولمبوسُ النذلُ الخَؤون

مَرَّ فاستوقفتُه أسألُه قال ماتتْ فتجرَّعتُ المَنونْ

كليوباترا زوّديني قُبلةً من ثناياك العذاب الشَّماتْ
وأضيئي بسَناها مُقلةً يُسْدِلُ الموتُ عليها الظُّلُماتْ

سيقولُ النـاسُ عنى فى غد ... من أولى الرحمة أو أهل الشَّمات:
بَطـلٌ لم تَظفَـر الحـربُ به ... فى الهوى تحت لواء الحب مات

[يسلم الروح]

كليوباترا :

قد تَداعى مِحْوَرُ الأر ... ض وميزانُ الشعوبِ
مـال كالشمس جمـالاً ... وَجـلالا فى الغـروبِ
أيهـا المجروحُ لو تـد ... رى جُروحى ونُدوبى
أيهــا الذاهب قـد آ ... ن عن الدنيـا ذهوبى
أيهــا الخـالصُ وُدّاً ... ليس وُدّى بالمَشـوب
أيهـا الصـادق وعـداً ... ليس وعدى بالكذوب
عن قريب يَنطوى القبـ ... ـرُ علينـا عن قريب
كَلِّلوه بالـرياحيـ ... ـن وبالغار الرطيب
واهتفـوا فى أذنيـه ... بأناشيـد الحروب

* * *

واحبيباه ، جاءه الموت فاستسـ ... ـلم لا يستطيع إلا ذهوبا
كان ما خفتُ أن يكون وحَلّتْ ... نَـكبة لم تفاجىء المنكوبا

[تستوى قائمة]

أيها الجندُ مات قيصرُ فابكوا ... معىَ السيدَ الجَسورَ الوَهوبا
شَبِّكوا ساعديْه من فوق صدر ... كان فى الرَّوع بالمنايا رحيبا

واعرضوا سيفَه على راحتَيْه وارکزوا الرمحَ من يديْه قريبا

لا بل امضوا لشأنكم جُنْدَ روما ودَعونى وسيفَ روما السَّليبا

أنا وحدى له ديارٌ وأهلٌ إن دعا دارَه ونادى النَّسيبا

[ينسحب الجنود]

ويحَ لى قد طلبتُ عند طباع الـنـاس ما عَزّ عندهم مطلوبا

خَلَق الناسُ للقوىِّ المزايا وتجنَّوْا على الضعيف الذنوبا

واحتفوْا فى الحياة والموت بالغا لب فانظُرْ هل عظَّموا مغلوبا

شيَّعوا الشاةَ جيفةً بمُداهم واتّقَوْا وهْو فى الرِّمام الذِّيبا

أنوبيس : الوقارَ الوقارَ يا لَبُأةَ النيـل ولا تجعلى الزئيرَ النحيبا

وقِفى للخُطوب فى عزّة الملـك وفى كبْره تُذلِّ الخطوبا

[يدخل جندى من جنود أكتافيوس]

الجنـدى : قيصر أكتافيوسُ آتٍ يعودُ أنطونيوسَ قيصرْ

كليوباترا : قيصر ! فرَّ الأسير منه مَنْ فى حمى الموت ليس يؤسَر

[يدخل أكتافيوس ومعه جنود]

أكتافيوس :

سلامٌ مَلْكةَ الوادى سلامٌ كاهنَ المُلْك

يقولُ الناسُ أنطونيو هنا لم يَبْتعدْ عنك

كليوباترا : نعم لم نَفترقْ بعد وإن أمعن فى تركى

وهــذا الجسـد الفانى جَـلاءُ الرَّيب والشك

أكتافيوس :

إذن قد قُضىَ الأمرُ وصار الليثُ للهُـلْك

كلوباترةُ لا تَخشَىْ فلن آخذَه منك !

كليوباترا : أبِى تهزأُ أم بالمَيْـــــت أم بالموقف الضَّنك

إن اسطَعتَ على مالـــــك من بَطش ومن فتك

وما حَوْلك من خيـل وما تحتك من فُلْك

نُخذْه من يد الموت ومن عاجـزةٍ تبـكى !

[يدنو جندى من جنود اكتافيوس ليتحقق موت أنطونيوس]

كليوباترا :

مكانَك يا عبدُ لا تَهتِكَنّ على سيد الهالـكين القنـاع

تُريد لتـكشفَ عنه الغطاء عسى تحته حيـلةٌ أو خداع

عَبَثْتَ به وهو تحت الظِّبا لـــــس مُلقَى السلاح قليـلُ الدفاع

ولم تَحتَشِمْ بُقَعاً من دم عليهنّ تَحسُدُ مصرَ البقاع

رُوَيْدَك ، ما الموتُ مُستبعَدٌ ولا هو مستغرَبٌ من شجـاع

وإن التماوتَ فعلُ الثعالـــــب ليس التماوتُ فعلَ السباع

أكتافيو :

أناتَك سيـدتى إنـه فتى طاهرُ القلب حرُّ الطباع

أراد ليحتاطَ لى جُهدَه ويُخلصَ فى خدمتى ما استطاع

تَنحَّ أخا الجند ما أنت والميـ ـتَ الايقْرَبُ الشمسَ إلاَّ الشُّعاع!

أتأذنُ سيدتى أن أطيـ ـفَ بخدن الصِّدام رفيق الصِّراع؟

ومن كنتُ تحت القنا ظلَّه ومن كان ظلِّىَ تحت الشِّراع

وكنا نَشيد لروما الفَخارَ ونَجْنى لها الغارَ من كل قاع

ونأتى القلاعَ فنحتلها وإن بعُدَتْ كالنجوم القلاع

ونَركزُ فى السهل أرْماحَ روما ونُطلعُ أعلامَها فى اليَفاع ؟

بإذنكِ ؟

كليوباترا :

قيصرُ لا إذنَ لى أينهى ويأمر من لا يطاع ؟

تصرَّف بجُثمانه كيف شئـ ـتَ فليس له اليومَ منك امتناع

وما جُثَّةُ الليث إلا لَقًى إذا النابُ طاحت أو الظُّفْرُ ضاع

[يتقدم أكتافيوس فيرفع القناع عن وجه أنطونيو]

أكتافيوس :

لقد حسَم الموتُ ما بيننا وغَضَّ اللَّجاجَ وفَضَّ النزاع

فمن حَقِّ اليومَ بل واجبٌ على أقدسه أن يُضاع

أُقبِّلُ ما قَبَّل الغارُ منـ ـك وأهتفُ: أنطونيوسُ الوَداع

ســـتـــار

الفصل الرابع

« فى القصر الملكى ، فى غرفة العرش ، غرفة مطلة على »
« البحر . كليوباترا متكئة على حافة الشرفة ، شرميون »
« وهيلانة فى أقصى الحجرة تنهمر من عينيهما الدموع »

كليوباترا [كأنما تناجى نفسها] :

نام « مَرْكُو » ولم أَنَمْ — وتَفــرَّدتُ بالألــم
ليت جُرحى كجرحه — لَقِىَ المـوتَ فالتـأم
قاتلَ اللهُ ماضيــاً — قتــلَ المُفــرَدَ العَلَم
أنطوانُ انفُض الكرى — ساعةً وانقُل القَدم
قم كأمس اغنَم الهوى — واشرب الراحَ بالنَّغم
وتَخَــيَّرْ على المُنَى — وتَمَتَّع من النِّعم
واغمرِ الأرضَ بالقنا — وتَغَلَّبْ على الأمــم
وقُد الخيلَ فى الوِهـا — دِ ووثباً إلى القمَم
أيها العين أبصرى — إنما كنت فى حُلُم !

[ملتفتة إلى شرميون] :

ياشرميون بلغنا موْقفاً حَرِجا	لا الرأىُ ينفعنا فيه ولا الباسُ
لم يَبقَ نَقبُ رجاء كنت ألمحُه	إلَّا تَعرَّضَ حتى سدَّه الياسُ

[تلقى نظرة على الاسكندرية من الشرفة]

نجمى يحدّثنى بوشْك أُفوله	إسكندريةُ ، هل أقولُ وَداعا ؟
وَشَيَّتْ بِرَكِ جدولاً وخَميلةً	وكسوتُ بحرَك عُدَّةً وشراعا
وأنا اللَّباةُ وقد ملأتُك غابةً	وأنا المَهاةُ وقد ملأتُك قاعا
قد خِفتُ من بعدى عليك ممالكا	يُطلقْن فيك الفاتحين سباعا
يأتين زرعَك بالرِّياح عواصفاً	ويجِئنَ ضَرعَك بالذئاب جياعا
فإذا الحضارةُ بعد طول بنائها	قد دُكَّ ركنُ بنائها وتداعى

شرميون :

بإيزيسَ سيدتى بالوَلاءِ	بطول التعاشُر والمُصطحَبْ
بما لى ببابك من خدمة	ومن صُحبة تُشبهان النَّسب
على أى وجهٍ أدرْتِ المصيرَ	وقلَّبت رأيكَ فى المُنقَلب ؟
فهذا السكونُ يثيرُ الشكوكَ	وهذا الهدوءُ يثيرُ الرِّيَب
وماذا اعتزمت؟ وماذا كتمت؟	أبينى فما بيننا من حُجُب
ولى فى حياتك رأىٌ يُساقُ	وليس علىّ إذا لم يُصبْ

كليوباترا :

إذن فاذكرى أن خصمى العتيد يخاف انتحارى ويخشى الهرب

وليس الذى يشتهى لى الحياة ولكن له فى حياتى أرب

له فى غد موكب الفاتحين إذا أقبلوا فى جلال الغلب

يجرون فى رومة الأرجوان وقد برزت فى الثياب القشب

وتزدان بالغار هاماتهم إذا ارتفعت فى الخميس اللجب

يحاول قيصر منى المحال ويذهب فى غير وجه الطلب

يريد ليعرضنى فى غد على شعب روما كأنى سلب

ويفضح مصر وسلطانها وتاج العصور وعرش الحقب

لقد ساء تدبير أكتافيوس ولم يلق من خدعتى ما أحب!

[تسمع وطء أقدام]

ماذا وراء الباب ؟

شرميون :

حس قادم

هيلانة : أجل دبيب حارس أو خادم

كليوباترا :

بل حارس جاف من حرس القصر

معربد الخطو من نشوة النصر

لا تسع الأرض رجليه من كبر

شرميون :

مَلْكَتى دَعى هذه الفِكَرْ

جندُ رومةٍ يَعبُدُ البَدَرْ

فى سبيلها يركَبُ الغَرَرْ

كليوباترا :

شرميون صَهْ إنه حضَرْ

[يدخل حارس]

الملكة : ماذا وراء الجندى؟

الحارس : رسالة من عبد

هل تأذنين ؟

الملكة : أدِّ

الحارس : أيها المَلْكَةُ قد جا ء إلى القصر غلامْ

فى ثياب الحقل حلو الشكل ممشوق القوام

جادل الحُرَّاسَ فى حذ قٍ ورفق بالكلام

يَدَّعى أن أباه كان عبداً للمَقام

ناله بستانُ تين من أياديك الجِسام

فهْوَ يُهدى لك باكو رته فى كل عام

الملكة [هامسة] :

شرميونُ ذاك حابى وجَناه فى يمينهْ

جاءَ فى الميقات يُهدى لىَ باكورةَ تينه

[للحارس]

ألا تَقْبلُ يا حارس منى هذه البَذْره ؟

الحارس : بشكران وهيهات على الشكران لى قُدْرَه

الملكة : والآن لو تُحْضِرُ لى الفلاحا لعله يُحدث لى انشراحا

إنى نسيتُ البَسطَ والمزاحا

الحارس :

علىّ السمع والطاعه سآتيك به الساعه

[يخرج الحارس]

الملكة :

يا شرميونُ تعلّى الدنيا ويا هيلانةُ اختبرى الزمانَ القاسى

إن التى حُرستْ بأبطال الوغى باتت تُصانعُ سفْلَةَ الحراس

[يدخل حابي فى ثياب فلاح ومعه الحارس]

هيلانة [همسا] :

حابى ، نعم حابى وتلك نظرتُهْ وهذه مشيَتُه وخَطرتُهْ

يا ليت شعرى ما تكون سَلّتُهْ ؟

حابى : تحيةٌ للملكهْ ونعمةٌ وبَركهْ

ونفسُ عبدِها لها وكلُّ ماقد ملكه

سيدتى جئت إلى بحرك أُهدى سمكه

أحملُ تينـا ولو اســــــطعتُ حملت مملكه

حابى : سيدتى

الملكة:

أُدنُ فإنــه ابتعــدْ وقُلْ فما يسمعُ غيرنا أحدْ

حابى : سيدتى

الملكة:

حـابى ، أنوبيسُ اجتهـدْ لنا وأنجز الغداة ما وعدْ !

يُريدُ أن يَشفيَنى مما أجد وأن يَقى مملكتى عارَ الأبد

جئتَ كما يأتى لوقته المَدد

وَفَيْتَ لى حابى ولم تـكنْ تـفى ضعِ السِّلالَ وانصرفْ لابل قفِ

حتى ترى كيف يكونُ موقفى

[تلقى نظرة على السلال]

ما لى مُلئتُ من المنيَّـة رهبةً إن المنيةَ فى رقاب الناس

آسى الجراح جَزعتُ عندلقائه والنفسُ تجزعُ من لقاء الآسى

إنى طويتُ بساطَ كل مُدامة لم يبقَ إلا شربُ هذى الكاس

يا خادمىّ بل ابنتىّ تلطفـا فى البحث حتى تأتيا بأياس

فعسى يُغنّينى نشيدَ الموت أو نغما أجود عليـه بالأنفاس

شرميون :

مَلْكتى نادى أياسا إنه بالقُرب منك
هوفى المقصورة الأخرى مع الباكين يبكى
فكُره فيك ولا يَجسُر أن يَسألَ عنك

الملكة :

ياوَيحَ صَحبى بَعد طول سرورهم قعدوا إلى أحزانهم يبكونا
جيئى بهم ياشرميونُ لينظروا جَلَدى فيَهدأ بعضُ ما يَجدونا

[تخرج شرميون]

كليوباترا [تنحنى على زنبقة فى أصيص] :

زَنبقةٌ فى الآنيه ضحيَّةُ الأنانيهْ
جَنَتْ عليها غُرْبَةَ الأسر الأكُفُّ الجانيهْ
وبُدِّلتْ من سَعة الرَّبْوَة ضيقَ الباطيه
يَسقونها من جَرَّة بعد العيون الجاريه
يا جارتا شأنك لا يُشْبهُ إلا شانيه
لم يبق من مُلكى العريض غيرُ دار خاويه
وكلُّنا ذابلةٌ عما قليل ذاويه
زال النعيم وفرغنا من حياة فانيه

[ترجع شرميون ومعها أياس وأنثو وغيرهم]

الملكة [إلى أنشو] :

أنشو يَعِزُّ عليّ أنك ساهمٌ يبدو عليك الهمُّ والتفكيرُ
أنشو ألا قولٌ يَسُرُّ وضحكةٌ إن السعيدَ الضاحكُ المسرورُ
قد كان أيسرُ ما صنعتَ يسرني أعَلَى سروري اليوم أنت قدير؟

أنشو : سيدتي جرى بما فيه سرورُك القدرْ
من لا تسُرُّه السما ءُ لا يسره البشرْ

الملكة: أياسُ، هل من صوت؟ غَنِّ نشيدَ الموت

[أياس يغني هذا النشيد]

يا طيبَ وادي العدَمْ من منزلٍ من منزل
لم تَمش فيه قدمْ للعُذَّل وادٍ خَلِ
أنا فيه لحبيبي وحبيبي فيه لي

* * *

يا موتُ ملْ بالشِّراعْ واحملْ جريحَ الحياهْ
سرْ بالقلوع السِّراع إلى شُطوط النجاه

* * *

شراعُك الفضِّي في لُجِّه التبْرِي
كالحُلْم في الغَمض يجري ولا يجري

* * *

في ظل ليل ساجْ أقسم لا يَسرى
مُظَلَّل الديباجْ مُطيَّب السِّتر

* * *

في يقظةٍ يَظهرْ لي أم أرى حُلْمَا
فُلْكٌ من الجوهر يَخترقُ الظُّلما

* * *

على الدجى لَمَّاح تَحسَبُهُ نجما
ليس به ملّاح يسلُكه اليمّا

* * *

أضْوَى من الفجر في ظُلمة الأسداف
من نفسه يجرى لم يُجرِه مجداف

* * *

مَدّ شراعَ النورْ يا حُسنَ ما مدّا
كاللؤْلؤ المنثور لو يَنفح النَّدّا

* * *

يا لكَ من زوْرقْ مَلّاحُه الأقدارْ
ينجو به المُغرَقْ من لُجة الأكدار

[يدخل الحارس]

الملكة: ما وراء الحارس ؟

الحارس: الطاعة يا ذاتَ الجلالهْ

قائد يحملُ من قيــــصرَ أكتافو رسالهْ

الملكة: أدخلــه ، أدخلْ رســولَ قيصرْ

[يخرج الحارس ويدخل القائد]

القائد : قيصرُ العالى إلى سيــدتى يهُـدى التحيهْ

هو فى الشُّكنة بالقر ب من الدار السنيه

يُظهرُ العَطفَ عليها وهى بالعطف حَريَّه

ويقولُ الأمرُ ما تأ مُرُ فى الإسكندريه

ولها الوادى وما يحــملُ مُلْكا ورعيَّه

وبنوها يرثون الــملكَ من روما الوصيه

وإذا حلَّت بروما وجدت روما حَفيَّه

تتلقّاها كأغلى درة فى القيصريه

ما الذى تقترحُ الملْكة ما تُملى عليَّه

لتقلْ سيدتى حا جتَها تُقْضَ العشيَّه

كليوباترا [كأنما تناجى نفسها] :

وإذا حلت بروما وجدت روما حفيه!

تتلقاها كأغلى درة فى القيصريه !

[تضحك فى تهكم وألم]

أيها القائدُ أدّيْـ ـتَ فأحسنتَ الأداءْ
بَلّغنْ قيصرعنى كلّ شكر ودُعاء
ثم زدْ أمنيةً قد بَقِيتْ لى ورجاء
أنا لا أكتُمُه ما سَرَّ من أمرى وساء
لى سرٌّ كادعن نفـ ـسىَ يَزويه الخفَاء
صُنته عن صاحباتى وصحابى الأمناء
حبذا لو زارنى قيـ ـصرُ فى هذا المساء
وله الشكرُ إذا لم يأت أو إن هو جاء

القائد :

سأذكرُ مولاتى لمولاىَ قيصرٍ وأنقُلُ ما أبديتِ من رَغَبَات
ولمْ لا يُلبِّى دعوةَ الحسن طائعاً ويسعى لهُ مستعجلَ الخطوات؟
وقد كان يوليوسٌ يقومُ ببابه ويَمثُلُ أنطونيوسُ فى العَتَبات!

كليوباترا [بعظمة] :

أسأتَ أخا الرومان فهم إشارتى

القائد : إذن فَهى لى تلك من هفَواتى

[يخرج القائد]

كليوباترا :

أراني لم يُحسنْ إليّ مُعاصري ... ولم أجد الإنصافَ عند لداتي

فكيف إذا ما غيّبَ الموتُ ذادتي ... وبُدّد أنصاري وفُضّ حُماتي !

كأنيَ بعدي بالأحاديث سُلّطت ... على سيرتي أو وُكّلتْ بحياتي

وبالجيل بعد الجيل يَروي زخارفاً ... فمن زور أخبار وإفك رُواة

يقولون أُنثى أفنتِ العمرَ بالهوى ... بهيميّةُ اللذات والشهوات

فدآ لغرامي بالرجال وحُسنهم ... غرامُ الغواني أو هوى الملكات

فليس الغلامُ البارعُ الحسن فتنتي ... ولا الرائعُ الأجلاد والعضَلات

ولم يَستَثرْ وَجدي من الروم فتيةٌ ... جُنونُ العذارى فتنةُ الخَفِرات

ولا كلُّ غصن من بني مصرَ مائل ... يَطير إليه قلبُ كل فتاة

يموتون بي عشقاً ويَشقَون بالهوى ... فكم من حياة في يدي وممات

ولكن عشقتُ العبقريّةَ طفلةً ... وفي الغافلات البُلْه من سنواتي

كلفتُ بكهل أحرز الأرضَ سيفُه ... وحيزتْ له الدنيا من الجَنَبات

إذا هبّ من غرب البلاد تَلَفّتتْ ... بلادٌ بأقصى الشرق منذعرات

تَعثّرَ حظي بعد طول سلامة ... وأقلع نجمي بعد طول ثبات

ومن يَعش في وَرد الأمور وشَوكها ... يَعُدّ الخُطا أو يحسب العثرات

[تنظر إلى السلال]

يامرحباً بالسَّلَّهْ والرُّقُب المُطلَّهْ
الكافياتى الذِّلَّهَ

[ينسحب الجميع مطرقين ما عدا الملكة ووصيفتها وحابي]

كليوباترا :

أدخلى بى يا شرميون على طفـلى أُوَدِّعْهمُ الوداع الرهيبا
فعساهم إذا تحجّب صدرى وجدوا صَدركِ الحَنِىَّ الرحيبا

[لحابي وهيلانة]

ولدىَّ اهجرا القصورَ فإنى قد وجدتُ النعيمَ فيها غريبا
ولها ضجـةٌ وفيها فُضولٌ يُرهقُ الحبّ واشياً ورقيبا
خلّيـا عنكما المدائنَ ياابْـنىّ فضوْضاؤها تُميت القلوبا
إن لى فى سهول طيبَةَ حقلًا طيبَ الماء والهواء خصيبا
غَرستْه يد الشبـاب فأضحى وارفا كالشباب حُسناً وطيبا

ألف الحبُّ من نواحيه أيكا جمع الطيرَ هاتفا ومُجيبا
يُسمعُ البُلْبلُ العشيقةَ فيه وتُغنِّى الأليفـةُ العَنْدليبا
أفقٌ لا يُظـلُّ إلا مُحبّـا وثـرى لا يُقلُّ إلا حبيبا
إشربا من كرومه واسقياها صافىَ الحب والهوى المسكوبا
والعبـا عند كلّ ماء غدير تريا المـاءَ للحَباب لعيبا

وسلا الوردَ هل تَنَفَّسَ فى الور د وهل ناسم البعيدُ القريبا
أدرِكا لذةَ الشروق ولمَّا تبلغ الشمسُ بالحياة الغروبا

[تخرج كليوباترا وشرميون]

حابى :

هيلانُ، هذا مقالُ النصح من مَلك فما تَرَيْن وما تَنْوِين هيلانا
هَلُمَّ طيبةَ ننزلْ فى خمائلها ونَبْنِ مثلَ بناء الطير دُنيانا
كطائرَيْنِ على بحرٍ وعاصفة قد آنسا من وراء الشَّطِّ بستانا
تداركَتْنا أبرُّ المالكات به وأشرفُ الناس إحساناً ووجدانا

هيلانة :

حابى، عرفتَ الحلال الطيِّبات لها وكنتَ أمس أقلَّ الناس عرفانا

حابى :

خلِّ الجفاءَ حياتى إن ساعتَه مضتْ وهذا أوانُ السِّلم قد آنا
اللهُ يشهدُ أنى قد سدلتُ على ما كان من نَزَعات الرأى نسيانا
وأننى اليوم أبكيها وأندبُها ولا أقيسُ بها فى الطهر إنسانا
اليوم ضحَّتْ وزكَّاها الفداءُ كما زكَّى المُقرِّبُ باسم الله قُربانا

هيلانة :

إن التى شبَّ فى نَعمائها صغَرى ونبَّهتْ لى فى سُلطانها شانا
إن لم أَمُتْ دونها أو لم أمت معها فما جَزَيْتُ عن الإحسان إحسانا

حابي :

والحبُ هيلانَ؟ ماذا تصنعين به

هيلانة : إن الصداقة فوق الحب أحيانا

حابى أراها أزْمَعتْ وأرى الفجيعةَ واقعهْ

فاذهبْ فجئْ بأنوبسٍ فعسى يردُّ الفاجعه

حابي :

وسواءٌ أردَّها أم أبى ذلك القدر

فى غد أيها الملاَ كُ إلى طيبةَ السفر

[يخرج حابى]

هيلانة :

ويح حابى اعتقادُه أن سأحيا فنلتقى

ليتنى نلت قُبلةً منه قبل التفرُّق

[تدخل كليوباترا وفى أثرها شرميون]

كليوباترا :

بروحى وإن لم تَبْقَ منى بقيَّةٌ صغارٌ وورائى ذُوّقُ اليُتمِ نُوّحُ

أذوبُ لبلواهم وأعلمُ أننى حَمَلتُ عليهم ما يَجلُّ ويَفْدَحَ

وقد أشتهى عيشَ الذليل لأجلهم فلا المجدُ يَرضى لى ولا النُّبلُ يَسمَح

نصفحاً صغارى إن شَقيتُم بمصرعى وإني لأرجو أن تَفضوا وتصفحوا

وَداعا صغارى صَيَّرَ اللهُ يُتمكم إلى خير ما يكفى اليتامى ويُصلح

أطفتُ بكم والنومُ تسرى سناتُه على صفَحات كالأهلّة تَلمَحُ

وما منكُم فى الخزِّ إلا حمامةٌ عليها طليلٌ ناعمُ الفرع أفيَح

تنامُ وما تدرى الكرى ماوراءه ولا الصبحُ فى ظلِّ الرُّبا كيف يُصبح

أتغدو على الدنيا كأمس طليقةً ضُحى اليوم أم يُغدَى عليها فتُذبَحُ ؟

[ملتفتة إلى هيلانة وشرميون] :

فيم هيلانةُ تبكيـــــن وأنت شرميون

كفكفا الدمعَ فلا شـدّ ة إلا وتهـــون

واعلما بنتىَّ أن الـ بؤسَ والنعمى دُيون

[تركع أمام تمثال إيزيس]

اليومَ أقصرَ باطلى وضلالى وخلت كأحلام الكرى آمالى

وصحوتُ من لَعب الحياة ولهوها فوجدتُ للدنيا خُمارَ زوال

وتلفّتتْ عينى فلا بمواكبى بصُرتْ ولا بكتائبى ورجالى

وطئتْ بساطى الحادثاتُ وأهرقتْ كأسى وفضّتْ سامرى ونقالى

إيزيسُ ينبوع الحنان تعطّفى وتلفّتى لضراعتى وسؤالى

أنت التى بكت الأحبّةَ واشتكت قبل الأرامل لوعَة الإرمال

إنى وقعتُ على رحابك فارحمى ذلَّ الملوك لمجدك المُتعالى

هل تأذنين بأن أعجّل نُقْلتى وأحُثَّ عن دار الشقاء رحالى

وعُلاكِ ما أدعُ الحيــاةَ جبانةً أو ضيقَ ذَرْعٍ أو قطيعةَ قالى
إنى انتفعْتُ بعبقرىٍّ جمالها وتمتعتْ من عبقرىٍّ جمالى
وجمعتُ بين شعورها وعواطفى وقَرَنتُ رَحْبَ خيالها بخيالى
ووجدتُها قد خلّدت أبطالَها فبسطْتُ سلطانى على الأبطال
بنتُ الحياة أنا وتَشهَدُ سيرتى ما كنتُ من أمى سوى تمثـال
منها تناولتُ الرياءَ وراثةً وأخذتُ كلَّ خديعة ومحال
وقسوتُ قسوتَها ولنتُ كلينها واقتستُ فى صَدّى بها ووصالى
ولربما رَشَدتْ فسرتُ برُشدها وغَوَتْ فأغوتْنى وضل ضلالى
ووجدتُها حباً يفيضُ ولذةً فجعلتُ لذّات الهوى أشغالى
يومى بأيامٍ لكثرة ما مشت فيه الحيـــاة وليلتى بليالى
ولقد لَقيت من الحياة صَبيّةً ما جل من بؤس ورقة حال
خلعتُ مُلكى طفلةً وشردتُ فى صدر الصبا ورأى المكارهَ آلى
شرعتْ علىّ السوْطَ فى كُتّابها واليومَ تَضربُنى بدرس غالى
ياموتُ هل حَرَجٌ على مُستنجد بك أن يُسابقَ واقعَ الآجال
يومى أعجّــلُهُ ولو لم أنتحرْ للقيتُ يوماً ما له من تالى

ياموتُ أنت أحبُّ أسراً فاسبنى لا تُعط روما والشيوخ عقالى
ياموتُ لا تُطفىء بشاشة هيكلى واحفظْ ظواهرَ لمحتى وجلالى

يا موتُ طُفْ بالروح واسرقْها كما سرق الكرى عينَ الخلىِّ السالى

حتى أموتَ كما حَييتُ كأننى بيتُ الخيال ودُميةُ المثّال

وكأن إغماضَ الجفون تناعسٌ وكأنّ رقدتىَ اضطجاعُ دلال

سرْ بى إلى أنطونيو فى نَضرتى ورُواءِ جلبابى وزينة حالى

[تقوم إلى إحدى السلال فتكشف التين عن أفعى] :

هَلُمِّى الآن مُنقذتى هَلُمِّى وأهلا بالخلاص وقد سعى لى

شريتُ السم من فيك المُفدَّى بسلطانى وزدتُ عليه مالى

على نابيْك من زُرق المنايا شفاءُ النفس من سُود الليالى

وبعضُ السم ترْياقٌ لبعض وقد يَشفى العُضالُ من العُضال

دعوتُ الراحةَ الكبرى فلبتْ فبُعداً للحياة وللنِّضال

هَلُمِّى عانقى أفعى قصور بها شوقٌ إلى أفعى التلال

سَطتْ روما على مُلكى ولَصَّتْ جواهرَ أسرتى وحُلِىَّ آلى

فرُمتُ الموتَ لم أجبُنْ ولكن لعل جلالةَ يَحمى جلالى

فلا تَمشى على تاجى ولكن على جسد ببطن الأرض بالى

وقد علم البريّةُ أن تاجى نَمتْه الشمسُ والأُسرُ العوالى

يُطالبنى به وطنٌ عزيزٌ وآباءٌ ودائعُهم غوالى

أأدخلُ فى ثياب الذل روما وأُعرَضُ كالسَّبِىِّ على الرجال ؟

وأُحدَّج بالشماتة عن يمينى ويَعرِض لى التهكمُ عن شمالى ؟
وألقَى فى النّدىّ شيوخَ روما مكانُ التاج من فَرْقِى خالى ؟
وأغشى السجن تاركةً ورائى قصورَ العزّ والغُرَفَ الحوالى ؟
وتحكمُ فىّ روما وهى خَصمى وتُسرِفُ فى العقوبة والنّكال
يرانى فى الحبائل مُترَفوها وقد كان القياصرُ فى حبالى
إذن غيرُ الملوك أبى وجَدّى وغيرُ طرازهم عَمّى وخالى
سأنزلُ غيرَ هائبة إذا ما تلمّظت المنيّةُ للنزال
أموتُ كما حَيِيتُ لعرش مصرٍ وأبذلُ دُونه عرشَ الجمال
حياةُ الذلِّ تُدفَعُ بالمنايا تَعالَىْ حَيّةَ الوادى تعالى

[تتناول الأفعى وتمهد لها من صدرها فتلدغها ثم ترميها الى السلة]

يا ابنتَىْ وُدّى ... هَلُمّا ... زيّنانى ... ... للمنيهْ
غلّلانى ... طيّبانى ... بالأفاويه ... الزكيه
ألبسانى حُلّةً ... لَهْ جبُ أنطونيو ... سنيه
من ثياب ... كنتُ فيها أتلقاه ... ... صبيه
ناولانى التاج ... تاجَ الشمـ س ... فى مُلْكِ ... البريه
وانثرا بين يدىْ عر شى ... الرياحين البهيه

[تموت بين وصيفتيها]

شرميون [تتناول من إحدى السلال أفعى] :

كلوبترا ويالهفى عليك يا كلوبترا

وصيفاتُك فى الدنيا وصيفاتُك فى الأخرى

[وتمهد لها من صدرها فتلدغها وتموت]

هيلانة [تفعل ما فعلته شرميون] :

كلوبترا ذهبت اليو مَ بالدنيا كلوبترا

تعالْ أيها الأفعَى أريحينى أنا الأخرى

[يدخل أنوبيس وحابي]

أنوبيس :

انسلّت المُهرةُ من قَيْدها وأفلت الطيرُ من الصائد !

حابي : هيلانَ ، يالهفا على الحبيبهْ على الجمال وعلى الشبيبهْ

على الفتــاة الحُــرَّة النجيبه

[يتحسس جسمها]

يا لَلحيــاة ما تنى دبيبــا أبى، تأمَّلْ جسمَها الرطيبا

واسمـــعْ تجـــدْ لقلبهـــا وجيبـــا

أنوبيس : حابى ، نسيتَ حُقَّةَ النجاة

حـــابي : هيهات أعصيك أبى هيهات

إن أنسَ أشياءَك أنسَ ذاتى !

[يخرج الحقة من جيبه]

خُـــذْها

أنوبيس : بل اسكبْ فى فم الفتــاة لعلها تصحو من السُّبات

[يشتغل حابي بإيقاظ هيلانة]

أنوبيس [على جثة كليوباترا] :

بنتى رجوتُك للضحية والفدا فوجدتُ عندك فوق ما أنا راجى

إن تُصبحى جسداً فنفسُك حرةٌ وعُلاك سالمةٌ وعِرضُك ناجى

سيقولُ بعدك كلُّ جيل مُنصف ذهبتْ ولكن فى سبيل التاج

[ثم يلتفت الى جثة شرميون] :

وأنت أيضاً شرميونُ جيفهْ مُتِّ ولكنْ ميتــةً شريفهْ

ما أعظمَ الملكةَ والوصيفهْ !

حابي : أدنُ أبى ألق النظرْ يالعجائب القدرْ !

أنوبيس: أحدث ترياق الأثرْ ؟

حابي : أنظرْ أبى ترياقَك الـــــمحسن ماذا منحا ؟

أنظرْ فهذا مَلَكى من رقدة الموت صحا

قد فتحَ العينينْ بعــد اليأس من أن تُفتَحا

وهـــذه أنفاسُه رَيْحانُها قد نَفَحا

مولاى قد قرَّبْت من سعادتى ما نَزَحا

أنت الذى رَددتَها رُوحاً وكانت شَبَحا

يا قلبُ كيف لم تَطرْ عن الضلوع فرحا

هيلانة : يا ويح لى ! ويحَ ليهْ هل صَدَقتْنى عَينيهْ ؟

حابى أفى الدنيا أنا ؟

حابي : بل أنت دنياى هنا

هيلانة : منذا جنى عليه حتى بعثت حيه ؟

حابي : أبى الذى شفاك ياملاكى

أنوبيس: لا بل ملاك الحب قد شفاك

وأدمع الإخلاص من فتاك

هيلانة : أبى لقد مرّ علىّ الموت وكنت من عذابه نجوت

علام حلت بينه وبينى ؟ الموت لا يذاق مرتين

[ترى جثة الملكة وهى تتلفت]

رحماك آلهة الوادى ذهلت فلم أذكر ملاكا وراء العرش مضطجعا

بالأمس، لا، لا بل اليوم التحقت به صرعت بالناقع السارى كما صرعا

لقد رحلنا عن الدنيا الغرور معاً مالى رجعت إلى الدنيا وما رجعا

ليت الطبيب الذى داوى فأخرجنى إلى الحياة على الدنيا به طلعا

مليكتى ، ربتى ، صفحاً ومغفرة إن المروءة كانت أن نموت معا

الكاهن: بنيتى . . .

هيلانة : صه أبى ،

الكاهن: لا أنت واهمة

فلستما فى ملاقاة الردى شرعا

وقفتُما موقفاً فى الخطْب مختلفاً لو جَرَّبتْ فيه غيرَ الموت ما نفعا

حابى : تعالَىْ نَحْىَ فى الحقْل مع الطير كما تحيـا
هَلُمِّى الحبَّ هينلا نُهُ فالحبُّ هو الدنيا
أبى دونك باركْنا وإن شئتَ فشاركْنا

أنوبيس : إذا فارقتُ محـرابى فمن يبكى على مصرا ؟
سأبقى ها هنا ابْنَىَّ إلى أن أقضىَ العُمرا
هَلُمَّا ابنىَّ باسم اللّـــــهسيرا وابنيا الوكْرا
هلمـا جنةَ الوادى هلمـا طيبةَ الغـرَّا
لئن فرقنـا الدهرُ فقد تَجمعُنا الذكرى

[يخرجان]

[يسمع صوت بوق]

أنوبيس : البوق دَوَّى قيصرُ أقبـلْ

[يدخل حارس]

الحارس : مـــولاى قيصر

[يتنحى عن الباب ويدخل قيصر وفى معيته الطبيب أولمبوس] :

أنوبيس :

ما يَبتغى قيصرُ من أسيرتهْ ؟ إن التى أعـــدّها لزينتـهْ
يَدخل روما وهى فى كتيبتهْ تَزيدُ فى مَوكبه وقيمته
ماتتْ ولم تنزلْ على مشيئتهْ بُورك فى النيل وَفى عقيلتهْ

قيصر :

آلهةَ الرومان ، ماذا أرى ؟ امرأةٌ تَسخَرُ من قائدِ

قد أبطلَتْ كيْدى على ضعفها ولم تزلْ تَسْخَرُ بالكائد

فى الجسد الحىّ تمنَّيْتُها لم أبغها فى الجسد البائد

[يركع قيصر عند جثة كليوباترا]

أنوبيس [لنفسه] :

الحادثُ العجيبُ قيصرُ والطبيبُ

يَغدُرُها وعهدُه بيابها قريبُ

أكتافيو :

عجيبٌ يا طبيبُ أرى قتيلاً ولكن لا أرى أثرَ الجراح !

أليست فى الفناء أرفَّ لوناً وأندَى من رياحين الصباح

فهل تدنو فتكشف كيف ماتتْ أبالسم الزُّعاف أم السلاح ؟

[يقترب أولمبوس وينحنى على صدر الملكة من الناحية التى رميت فيها الأفعى]

أولمبوس :

جبين مُشرقُ الغُرَّهْ ووجهٌ ضاحكٌ نَضْرَهْ

وعينان كأنّ المو ت فى جَفنَيْهما كَسْرَه

وهذا فُمها تبدو الـمنايا عنه مُفتَرّه

ولكن قيصرُ ادنُ انظرْ هنا السرُّ هنا العِبره

فبين السَّحر والنحر كمثل الخدش من إبره
مكانُ الناب من صلٍّ شديد البأس والشِّرَّه

[تلدغه الأفعى]

إلهي ، قيصري ، آه لقد مَسَّتْ يدي جَمْرَهْ
سرى السمُّ بأعضائي وعَمَّتْ جسدي فَتْرَه
وجاءت سَكرَةُ الموت فلاصحو... من السَّكْره

[ثم يسقط ميتاً]

أكتافيوس :

ويل النفوس من فُجَاءات القدرْ !
ويحَ ألمبوس بالأفعى عَثر

أنوبيس [لنفسه] :

قد وقع الحافرُ فيما قد حَفَر

قيصر :

وَداعاً كلوبَترا إلى يوم نلتقي وَتنفُضُ عنها الهامدين المقابرُ
محا الموتُ أسبابَ العداوة بيننا فلا الثأرُ مُلْحاحٌ ولا الحقدُ ثائر
وما استحدثت عند الكرام شَمَاتةً صُروفُ المنايا والجُدودُ العواثر
وداعاً وإن نحن اقتتلنا وجَرَّدتْ حُسامَيهما أوطانُنا والعشائر
تَحدَّيتني بالموت حتى قهرتني ومالي سلطانٌ على الموت قاهر
ترفَّعت عن قَيْدي ومُتِّ عزيزةً وأيدي المنايا للقيود كواسر

وأنت التى نازعت روما مكانها ... وجَرَّتْ بناديك القيود القياصر
لعبت بأنطونيو ويوليوسَ حقْبةً ... كما جاء بالمسحور أو راح ساحر
وما أنا إلا سيفُ رومةَ باتراً ... أصيبَ به سيفٌ لرومةَ باتر
زَجرتُ فلم أُسمَعْ فقاتلتُ مكرَهاً ... وفى الحرب إن لم ترْدَعِ السِّلْمُ زاجر
وأنطونيو صهرى الكريم بمثله ... يُطاولُ أنسابَ الملوك المُصاهر
وَداعاً عروسَ الشرق كلُّ ولاية ... وإن هَزّت الدنيا لها الموتُ آخر

[يخرج أكتافيوس وحاشيته وتزف التحايا له من الأبواق والخناجر خارج القصر]

أنوبيس :

أكثرى أيها الذئاب عُواءً ... وادّعى فى البلاد عزًّا وقهرا
أنشدى واهتفى وغَنّى وضِجّى ... واسبحى فى الدماء ناباً وظُفرا
لا وإيزيسَ ما تملّكتِ إلا ... وادياً من ضَياغم الغاب قَفرا
قَسَماً ما فتحتُمُ مصرَ لكنْ ... قد فَتحتُم بها لرومةَ قبرا

ستار الختام

قام على تحقيق هذه الطبعة لغوياً وعروضياً
سعد درويش

وراجعها
الدكتور عز الدين إسماعيل

قام بتصميم الغلاف والإخراج الفنى : سعد عبد الوهاب



الهيئة المصرية العامة للكتاب

رقم الإيداع بدار الكتب ٤٥١٣ / ٨٢

ISBN ٩٧٧ _ ٠١ _ ٠٠٩٦ _

مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب

مصرع كليوباترا



٧٥ قرشــا